أخلاقيات الجغرافية

الدكتورالمهندس

مهدي سعيد العزاوي

لكل مكان اخلاقياته وهوياته الثقافية

اهداء

لكل من آمن أن الانسان قيمة عُليا

للفقراء ألذين تّحسبهُم أغنياءٌ من ألتعفف

لقمم التضحيات ألنبيلة ألتي أعطت دون أن تاخذ

لشهداء الوطن ومنهم أخي نعيم

لأبي وأمي رحمهما الله

لأخواني وأخواتي

لزوجتي وأبنائي

لأحفادي

لأصدقائي

ولمن أُحب

أخلاقيات الجغرافية

الدكتور المهندس

مهدي سعيد العزاوي

الفهرس

الفصل الاول..... خلق الاخلاق في الامكنة ..... ص 5

الفصل الثاني .... ماسرك ياعراق يريدون اقتلاعك ص6

الفصل الثالث .... عناصر تخريب الاخلاق العراقية ..... ص10.

الفصل الرابع ..... اندحار الدولة العراقية ..... ص 19

الفصل الخامس .... عناصرتناقض وانفعالات المكان .... ص 25

الفصل السادس .... القيادات الاخلاقية..... ص35

الفصل السابع ..... لماذا حصل الانهيار..... ص41.

الفصل الثامن ....الجغرافيا السكانية ..... ص47.

الفصل التاسع .... تاميم الاخلاق..... ..... ص56

الفصل العاشر.... الوعي الاخلاقي للامكنة ص62

الفصل الحادي عشر... مقومات الجغرافيا ص67

الفصل الثاني عشر..... الموروث الجيني ومدى تغيره.... ص76

الفصل الثالث عشر....المكتسب من تنوع الجغرافيا ص85

الفصل الرابع عشر .....سبات ام متاهات ص95

الخلاصة..... ص 96

المصادر.....ص98

الفصل الاول

خُلقُ الاخلاق

كانَ لي وطنٌ ابكي لنكبته واليوم لاوطنٌ لي ولاسكنُ

ولا ارى في بلادٍ كنتُ اسكنُها الا حثالة ناس قاءها الزمنُ

الرصافي

القانون الأخلاقي هو القاعدة الذهبية التي تنص على "يجب على المرء أن يعامل الآخرين كما يريد المرء أن يعامل نفسه".

لكل مكان اينما يكون له ثقافته الموروثة وثقافته المكتسبة . وهنا تعني الثقافة : السلوك والوعي والادراك والاحاسيس الانسانية . تنحدر كل حسب جغرافيته اي امكنته, التي يعيش فيها مع مجموع المتغيرات الانسانية او الغريزية عند الحاجة .

قتلة الاخلاق وقيم التحضر الراقية عادة ما تنشأ او تُصنع. عّمدا لتغير التأثير الجغرافي وجعلها تقترب من وباء مزمن لتخريب السلوك الخُلقي للاخلاق في امكنة العيش.وهو مايوصف بالتخلف الاخلاقي لذلكم المكان.

الاسباب متعددة ومتنوعة داخلية محلية , خارجية اقليمية . وعادة مايكون ابن الجغرافية ابن المنطقة وابن الدربونة والزقاق . ادواتها للتطبيق بل وكيانها الفاعل في اي تخريب للامكنة حتى لوكانت لها ميزتها في قدسيتها ورمزيتها.

الهزات والعصف الفكري والهوياتي والمكاني تخلق دائما . ايقاع نفعي انتهازي من طبقات طارئه مخربة , تحمل هوياتها الذاتية المنفعلة تتصارع مع اي هوية اخرى لاتنسجم معها .

وتظهر رايات الجماعات المجزأة بولاءاتها المتنوعة مع اسلحتها امام راية الوطن الذي يمثل رمزا للانتماء الحقيقي.

الفصل الثاني

ماسرك ياعراق يريدون اقتلاعك وزرع اخر؟

ايكفي مافيك؟

كل السكاكين صوبّ الشاةِ راكضةٌ

لتُطمئِن الذئب ان الشملّ مُلتئمُ

كريم العراقي

من لايعرف التاريخ فهو جاهل سياسي وثقافي ,لان بلد مثل العراق كحضارة وارث لايمكن الا ان ينهض رغم الكبوات لان اعداءه صغارا خارج التصنيف الاخلاقي للبشر . وهاكم مافي جعبة العراق . مازالت تنبض حضارة تلي اخرى .

عراق الحضارات والصراعات والقوانين:

يوصف بانه بلد الحضارات التي ما ان تنتهي تاتي مابعدها من تراكمات حضارية تساعد الاخرى بثرائها المعرفي والثقافي بمراحلها وشخوصها التي مازالت مدونة في معظم متاحف العالم,والمتجدده بكنوزها واثارها بين عبقريات جغرافياتها المدفونة والمكتشفة حديثا.

الحضارة السومرية

الحضارة الاكدية

الحضارة البابلية بعصورها الثلاث

العصر البابلي القديم , الوسيط والحديث

الحضارة الاشورية وعصورها الثلاث

العصرالاشوري القديم ,الوسيط ,الحديث

جميع الحضارات على مر العصور تمتلك معتقداها وديانتها قبل خمسة الاف سنة. لابد من الاشارة الى بعضا من الحقائق التاريخية , الحديثة في تاكيد وجودها الموضوعي المتعقلن نوضح الاتي:

(عن فايز مقدسي، دراسة مبسّطة قال فيها: بينما كنت أنقب وأبحث وأدرس النصوص السومرية القديمة وأسماء الملوك منذ الألف الثالث قبل الميلاد، لفت انتباهي ورود اسم ملك سومري يدعوه النص ملك مملكة مدينة "كيش" في جنوب العراق : : اسم الملك الذي دون هذا النص هو كما ذكرنا (Mesilim) "مسلم". وهذا الاسم السومري القديم (مسلم) سبق الإسلام والقرآن بحوالي 5000 سنة على الأقل مما يبين أن اسم مسلم وإسلام ومسلمون بمعنى السلام بالكنعانية السورية (ش ل م) وبالسريانية السورية (ش ل م و).

أن تاريخ اللوح المُدون عليه الاسم يعود إلى سنة 2550 قبل الميلاد، مشيراً إلى أن هذا اللوح موجود اليوم في متحف "لوفر" في العاصمة الفرنسية باريس.

ولفت إلى أن اسم الملك الذي يتحدث عنه وكما هو مدون يأتي في صيغة (م س ل م) أي (مسلم) "وهو كما ذكرت كان ملك مملكة مدينة كيش بالسومرية (لو — جال — كيش)...حرف الجيم في "لوجال" تلفظ مصرية، ويرد في اللوح ابتهال ديني يقدم فيه الملك منحوتاً أو نصباً لله".

وبيّن مقدسي أن العبارات تقول وبالسومرية أولاً (EN-LIL-LU-GAL-KUR-KUR-RA-EB-BA-DINGIR-DINGIE).

منسوخة بالحرف العربي (ان — ليل- لوجال — كور- كور- را — اب — با- دين — جير — دين — جير)...وأضاف مقدسي أن الترجمة التي نحصل عليها من هذه العبارة هي كالتالي: "الله رب السماوات وملك الأرض — لا رب غيره — هو الله وحده".

واستطرد مقدسي: كلمة "ان" تعني "السماء". كلمة "ليل" تعني "تعالى" أو "في العلى". كلمة "لوجال" تعني "ملك". كلمة "كور" تعني "الأرض". كلمة "رب با" تعني "الرب". كلمة "دين جير" تعني "الإلهي" أو "الله"، والكلمة ليس لها صيغة جمع في السومرية لأنها كانت تدل على الوحدة الإلهية أو الله الواحد الأحد عند أجدادنا السومريين القدماء الذين لم يعرفوا تعدد الآلهة كما تم تلفيق الأمر فيما بعد...) اي ان ذالك االمسلم لم يعرف بمسلم اليوم.

قوانين وشرائع قبل حمورابي :

تؤسس لقوة قانونية ونفوذ قيمي صارم لتنظيم المجتمع بشكل انضباطي لايخضع للمساومات والرشى بل هي دساتير زمانها .

وحقيقة الأمر ان حمورابي بذكائه وفطنته استفاد من جميع الشرائع التي سبقته واضاف لها لتكون شريعة حمورابي.

ليس مكان التفصيل في الشرائع والاصلاحات القانوني في ازمانها بل للاشارة الى عمق الاهتمام بقوانين لمعالجة حاجات المجتمع المتذمر كما حصل في اواصلاحات اوكاجينا بعد اول ثورة عرفتها البشرية انطلقت من الناصرية عام 2351 قبل الميلاد:

1. وثيقة اصلاحات اوركاجينا
2.شريعة أورنمو

3. شريعة لبت عشتار

4. قانون أشنونا

توطين المفاهيم الاخلاقية والايمانية رافق تكوين الدول كجغرافيا يعيش بها سكان بمختلف الاعراق والديانات , وكانت صمام امانها هي الناس التي تؤمن بالعيش المشترك والمصير الواحد . اضافة الى دساتير متنوعة تضمن التعايش بامان. وتامين مواردها للعيش ضمن اطار مايسمى بالدولة المدنية او الدينية او اي نظام سياسي اخر. مهما كانت هذه الانظمة شمولية او دكتاتورية او ديمقراطية . تشترك في اهم المعايرلضمان امن البلاد وهي السيادة وتحصين الحدود بجيوش او بادوات ضامنة لتحصين الناس كل الناس ضمن رقعة الجغرافيا الكلية والجامعة المتعايشة بطمئنينة العيش رغم التنوع بجبالها وسهولها وبواديها ومرافئها البرية والفضائية والبحرية . وتغير مناخاتها المكانية وتنوع غدائها وتراثها وهوياتها التي تشكل فوارق الاعتقاد رغم قبول الاخر مهما اختلفت معتقداته .

وعندما تبدا المصالح بين القوي والضعيف , صراع الطبقات الفقيرة والغنية . استفحال الغنيمة وسطوة من لايستحق مكانه في امن الوطن ليحكم بجهالة ضانا انه الكل والكل هو الجزء !

نشوء صراعات وحروب على مر العصور بعد تلكم الحضارات والقوانين والشرائع . بل من خلالها وكانت من اسباب سقوط كل ماورد اعلاه من تسميات وشرائع وقوانين.

عناصر متعددة متنوعة نتناولها لاحقا.

ماذا حدث منذ زمن حمورابي والتشريعات اللاحقة(د فالح عبد الجبار محاضرة في ندوة تيار الفكر):

عدد الحكام في العراق :360 ملك و 123 رئيس

اعداد الحروب والثورات:769 حرب و 1245 ثورة

على مستوى العالم 127 محاولة انقلابية

على مستوى العالم الثالث 85 حرب اهلية

ومحاولات اغتيال لزعماء سياسين 54 محاولة

هي نتائج كارثية لتردي وتعدد اخلاقيات النزاعات واسبابها والسلوكيات الغير سوية للمجتمعات المتناحرة . هوياتية مصلحية ومكانية,ليست بعيد عما جرى ويجري من احداث ونزاعات وحروب اهلية دامية في عصرنا الحديث. صراعات الحق ضد الحق ! لان مبررات الحروب والانقلابات تعتمد على شعارات لم تثبت صحتها واحقيتها على ارض الاحداث الا بعد الانكسارات الرهيبة في البلدان وشعوبها دافعة الاثمان الباهضة. وعادة مايتم تبريرها كانه حق من حقوق الدفاع عن النفس. كما موضح لبعض التفاصيل في خرائط الفصول القادمة من كتابنا.

الفصل الثالث

عناصر تخريب الاخلاق الجغرافية

الشعوب المقهورة , تسوء اخلاقها
ابن خلدون

لكي لا تسقط الاخلاق(1)

كلما قرأت خوف أحدهم من انهيار

قيمنا وتقاليدنا،

شعرت بالدهشة،

وأتساءل:

ما الذي تبقى من القيم النظيفة لكي نحافظ عليها

من قيم الغرب؟

وهل قيم الغرب جنس واباحية شوارع فقط؟

ومن رسخ هذه الصورة النمطية السخيفة

والبليدة في عقول الناس؟

في الدول المترفهة والمحمي انسانها

وحريات فردية أقرب على الرجل العربي نجوم السماء

المجتمعات المغلقة هي الأكثر فساداً

وحديثاً عن الاخلاق ولا تضع الحرية والثروة

وكما نحن نختزل الغرب في صورة الجنس النمطية،

هنا في الغرب يختزل البعض العرب بالتخلف والارهاب والوحشية،

لأن العمى العقلي والعنصرية والغباء والعقل الاختزالي لا هوية له.

أين نضع العلوم والحداثة والطب والفن والموسيقى

والصناعة والفلسفة والضمان الاجتماعي،

وحقوق المواطن والقانون والأمن ورعاية الامومة

والطفولة والشيخوخة من المهد الى اللحد،

بعمل أو بلا عمل؟

أليست هذا أخلاقاً وقيماً؟

كل من يخاف على القيم والتقاليد ان تتحطم

هو إما جاهل أو نائم على إذانه أو منتفع

وخائف من ضياع مستوطنة العبودية،

لأن غياب العدالة والحقوق السياسية والاقتصادية

وسرقة الثروة والأمل والمستقبل،

هو أكبر تحطيم للقيم والأخلاق وباب كل الشرور،

وهو هتك للاسلام الحقيقي وظهور دين جديد

مفصل على أخلاق المافيا.

نحن اليوم في عالم مفتوح والاجيال لم تعد حبيسة

جدران وقد يكون الأب مطمئناً لقفل الباب،

وارتفاع الجدران ويفتل شواربه في الصالون،

لكنه لا يسمع التأوهات عبر الاقمار الصناعية

وهي تصعد وتهبط من والى السماء في غرف النوم؟

هذا المثال عن الازدواجية بين

الواقع والخطاب:

مرة هرب صبي لفشله في المدرسة،

وصادف شيخاً في الليل وسأله عن السبب،

فقال إنه يخاف من والده لرسوبه في الامتحان،

فقال له الشيخ:

" لا إبني عيب تظل في الشارع

تعال معي للبيت"

" أخاف عمو تعمل كذا معي؟"

" لا عمو إذا تناكح مسلمان تتهدم أركان الكعبة"

وفي منتصف الليل تحرش بالصبي فقال هذا:

" مو قلت تتهدم أركان الكعبة؟"

" لو ضبطت نفسك طابوقة ما تطيح".

الجغرافية ليست امكنة فحسب ولكنها لغة تحمل منظومة كبيرة من القيم الخاصة. هذه الامكنة تعري شعارات الحيطان المحيطة بها وفساد المؤسسة السياسية الحاكمة وربما هذا هو مصدر قول الشاعر رامبو" الحياة الحقيقية غائبة عنا، لست من هذا العالم".

لم يرحمنا التاريخ سابقا لأننا قدمنا الجنائي على الثقافي، وفضلنا محاكمة الأشخاص وأهملنا دور التاريخ والثقافة، وتصدر السياسي الواجهة على حساب نفي المفكر والمثقف الذي صارت مهمته " كاتب خطابات سكرتير الحزب العام" وتحولت غرف الدخان إلى محاكم مرتجلة بدل الحوار المفتوح مع الناس في الحدائق، وصار في وسع أي مختل عقليا وأخلاقيا ومعتوه أن يصنع لنفسه تاريخا خاصا مزورا ويرش المارة بالماء الآسن باسم مبدأ الفردانية الخاوية من المقايس.

ليس هناك في العالم مثقف يعيش خارج السلطة. وليس هناك فكر ينتج خارج السلطة أيضا:

الفكر يُنتج، حسب ميشيل فوكو، إما بالصراع مع سلطة ما أو بالتوافق: والسلطة ليست الدولة فحسب، بل هي سلطة اللغة، والجسد، والعائلة، والمعايير،والنظرة، والذاكرة: أي كل ما لا يعتقد السياسي العراقي "العبقري" أنه سلطة ملحة تشاركه في نومه ورغباته وقراراته دون وعي منه!

وملاك الحقيقة لا يعرّفون الحقيقة التي يمتلكون ولا يصفونها، في خلط مريع بين حقائق تحمل صفات متناقضة: فالحقيقة الاجتماعية، مثلا، متغيرة، نسبية، ولا يمكن قياسها بالحقيقة الأدبية والثقافية لأن لهذه قوانينها المختلفة، وهذه الحقائق تختلف عن الحقائق العلمية، وحتى هذه متغيرة من زمان إلى آخر، ومن مكان إلى مكان أو في كواكب أخرى.
وكان الملك فيصل الأول قد أقام وليمة لوزير المالية اليهودي ساسون من أجل إقناعه بالرجاء والتوسل لشراء سيارة جديدة له لأن القانون لا يبيح للملك شراء شيء بدون قرار وزاري، ولأن السيارة الحالية قديمة فرفض الوزير وهو يمسح بوزه بمائدة ملك العراق المتوج!
ليس لتاريخ الحرية من حدود ولا لمواقف الرجال أو النساء من حدود أيضا، وليس هناك قانون في العالم يعاقب على" النوايا" وما تخفي الصدور أو خلف السطور أو خلف الجبل، فوق التل، وطالعك يا عدوي طالع من كل جحر وبار وشارع وصرخات" نزلوني ضاعت قندرتي!".
كان أمير الفقراء علي بن أبي طالب يقول لأولاده والمحيطين به، من خلال فراسة بدوي، وملاحظة، ودقة، ومراقبة تصرفات ابن ملجم، وصلاته بمعاوية، بأن هذا الرجل سيقتلني يوما. فقال له الحسن" ولماذا لا تقتله يا أبتي؟" فرد الإمام العظيم" لا يحل القصاص قبل البينة" وهو الشعار نفسه الذي استخدمته الثورة الفرنسية بعد ذلك بقرون والقائل" المتهم برئ حتى تثبت إدانته".
والوحيد الذي شرّع القتل على النوايا، وما تخفي السطور والصدور، أو ما في القلب" من بقع سود!" هو الطاغية. وهناك فقرة تقول "كل من نوى الهرب إلى بلد معاد واكتشفت "نيته" قبل الشروع في الفعل يعدم حالا!".
ويوما قال "اللمبجي" مشعل الفوانيس في الطرق في الخمسينات يوم كانت خوابي الزيت تضيء بالحب الحارة والحي، قبل أن يأتي زمن الأحزاب والاغتيالات والانقلابات ويطفئ الضوء،والبراءة، ويغتال المطر، ويطارد الضباب، قال لـ " فطومة" بأن مختار المحلة أهانه اليوم وعليها أن تبلغ المحلة كلها لكي يعرف مدى حب وتقدير الناس له، وكانت تعرف أن رأسه في الوحل بسبب مواعيدها التاريخية بعد خروج اللمبجي في عدة الشغل بنفطه ومصابيحه.
وحين شاع الخبر في كل مكان جاء المعزون والمحتجون والمعتذرون وقدموا له التعازي بهذا المصاب الجلل. وبعد أيام مات اللمبجي فجأة فخرجت المدينة في وداعه بحشد من الرجال دون النساء في جنازة تليق بملك أو امبراطور أو فارس.
لكن الشيء الذي لا يعرفه هذا" اللمبجي" هو أن كل هؤلاء الذين خلف الجنازة هم عشاق فطومة!

تراكمات الطاعة وقدسيتها وجعلها اسلوب للحياة المثالية التي يجب ان تكون لارضاء الذات والتخلي عن الحقوق المنسية ضمن اطار المجتمعات الساكنة والغير متحركة التي تمثل الثقافة

البيئية المعاشة في امكنتها . القلق والخوف وتجريد الذات الانسانية وتحجيمها لتقبل وترضى بقناعة انها مسيرة لا مخيره هي من الاسباب التي ساعدت بل سرعت في انهيارات القيم الاخلاقية وتركها لمن لا اخلاق له لكي يقود ويحكم الناس.

الذاكرة والماضي والمستحضر منه , امتزجت مع الاسطورة والخرافة والرواية والمنقول عما قيل قبل التاكد من صحته ودقته . ندرجها ادناه

اولا: الخوف والتوسل والخنوع:

لا ريب بان الانسان العراقي القديم والحديث كان ومازال يحمل من الخوف والرهبة للمقدس او للسلطان مايجعله ليحتسب لخطواته اولا ويشعر بالذنب وحتمية التراجع والتوبة.

اولا:عندما يؤمن انه ارتكب ذنبا يستحق العقاب عليه.

ثانيا.لذلك نجده ا كثير التوسل والاستشفاع لكي يصفح عنه. واحيانا يكون التوسل بدون ذنب بل فقط لاحلال الرضى والتبرك.

وهو مانراه الان بين ماكان توسلا سومريا الى توسلات تحملها ملامح الشخصية العراقية , التقية منها, وغير التقية. معتمدا ذلك على البيئة التي يعيشها العراقي بين مكان واخر. بسلوكيات مختلفة تعتمد على جغرافيتها ومناطقها.

الانقياد للقوة وطاعتها:

ادى الهلع النفسي والخوف الدائم للمقدس الغيبي البعيد عنه والدنيوي الحاكم القريب منه . سبب في تاسيس الفكر العراقي الحديث الى فكر تهويلي بعقل اسطوري. لذلك تدرجت الولاءات بقربها منه او بعدها عنه. ويفعل ذلك عن طريق الشفيع.تعود العراقي منذ القدم على ان الطاعة سلوكا احترازيا . كمفاهيم الاحترام للاكبر ابتداء بالام التي يعتبرها بمنزلة الاله ثم الاب والاخ الاكبر وهكذاالى خارج العائلة من رجل الدين الى رئيس العشيرة.

لكن الدائرة الاهم هي دائرة السلطة والقانون واضرحة الصالحين. حيث تتحول الطاعة الى خضوع وانقياد رسمي مقترن بالطقوس والشعائر وتادية النذور. وهما من شكل البناء الفوقي القاهر لاخضاع الانسان العراقي القدي والحديث وما امتد منه في طريق الانقياد والخضوع والذي يصل احيانا الى خنوع مذل ان كان التوسل جزءا جوهريا لتلبية الحاجات

ولانقاذ الحياة . وهي مايشكل بنية وعقل العراقي المترسبة في اللاوعي الاسطوري للانسان العراقي المعاصر.

الطقوس والشخصية العراقية:

الشخصية العراقية تعيش في فضاء الازدواجية بين المقدس والمدنس " او القديس وابليس كما هو مؤول في كلكامش" وبين الحب والحرب وبين الايديولوجيا واليوتوبيا. حتى وصلنا الى عصر الامام علي وذريته . نرى الشخصية العراقية في عواطف وانفعالات متناقضة وقيم متصارعة . فقد احبوا عليا وذريته , لكنهم انقلبوا عليهم واعلنوا الحرب ضدهم.وقد ساعدت الطقوس الاسطورية – الدينية , على اذكاء هذا التناقض بين القيم الدينية المقدسة وبين الدنيوية المدنسة. فهو يكثر من الصلاة والتعبد, لكنه لايتورع عن الحاق الاذى بغيره متى ماسنحت له الفرصة مجالا للعبث والفوضى. كما تجمعت في كلكامش الذي يتصارع في داخله المقدس والمدنس. لان ثلثاه الهة,وثلثا بشر كما موضح في اسطورته.

كانت الصلاة تتمثل برفع اليدين نحو الاله مع القراءة العلنية , وتشمل عدة ترانيم وادعية بمشاركة الجميع, ثم يحدث توقف بين الحين والاخر.واثناء هذا التوقف ينادي الجميع بنوع من التفجع او النواح الحزائني العام.كمواكب داخل المعبد بل حتى في ارجاء المدينة ايضا. ومن بين المشاركين العديد من الكهان وتماثيل الالهة.قريبا عما يمكن ان نراه نوعما من طقوس لامكنة مختلفة المعتقدات الدينية بطوائفها المذهبية .

هذا التناقض القيمي الذي تكشف عنه الطقوس من خلال التأويل , انما يتم تبريره دينيا وثقافيا. فالثقافة الاجتماعية في العراق القديم هي ثقافة دينية تبيح للفرد ان يشارك في تدمير المدن وسفك الدماء.

فاذا استعرنا تعبير علي الوردي : التنويم الاجتماعي فان الثقافة الدينية تمارس تنويما اجتماعيا على شخصية الفرد فيرى ان عمله وسلوكه – حق - لاغبار عليه لانه يتم باسم الاله المقدس دون ان يشعر بوجود تناقض قيمي في تفكيره وسلوكه.والتنويم الاجتماعي هو عين ماتمارسه الايديولوجية. فهي تزيف عقول الافراد في المجتمع كونها تعتمد الشعارات والقيم المؤثرة والبعيد عن الواقع الاجتماعي .

التاريخ وتأويله:

لان التاريخ هو تاريخ سياسي يسرد اسرار نخبة قليلة العدد من الابطال ضمن مجتمع يتجاوز العد.

ان الشئ الذي يميز العراق عن غيره من البلدان هو التاريخ. فما يتميز الان هو اصداء للازمنة الاولى في الافكار والاتجاهات والمخاوف والرغبات وحتى عندما يجهل العراقيون تاريخهم. الا انهم مسيرون به.ويجب ان ندنو من هذه الاصداء اذا مارغبنا بفهم العراقيين المعاصرين.

من خلال التاويل بوسعنا اسقاط الاسطورة او النمط الاسطوري على التاريخ . فيتحول البطل التاريخي الى رمز يعيش في تاريخ مقدس وتجري عليه طقوس تحتفي بذكر بطولاته.فالرمز والمقدس والطقس هي الثالوث الذي يخلد الاسطورة , وعندما تُسقّط على التاريخ و سيتحول هذا الثالوث الى ذكرى من الخلود والقداسة.

التاريخ هو صراع الحق ضد الحق قبل ان يكون صراع الحق ضد الباطل .فالاخير هو الظاهر من قراءة التاريخ والراسخ في الوعي التاريخي . لكن الاول هو قراءة تأويلية معرفية لعقول الاطراف المتصارعة.

ويمكن القول ان اول من أوّلّ التاريخ هو ابن خلدون , عندما نظر الى الصراع على السلطة وتكوين الدولة بانه صراع البداوة والحضارة. وهوالصراع الذي نقله علي الوردي من حيز الاجتماع السياسي الى حيز الاجتماع الثقافي , وبالتحديد في المدينة العراقية , حيث تسكن القيم البدوية والحضرية في عقل الفرد العراقي وهي المؤثرة في سلوكه .

الحضارة تنتصر على البداوة في ملحمة كلكامش , بينما يحصل العكس عند ابن خلدون حين تنتصر البداوة على الحضارة و عندما تغزوها في عقر دارها اي في المدينة. الفكرة اذن هي في الصراع الذي اوّله ابن خلدون ماديا وبمنظور الغزو, بينما حولّه علي الوردي قيميا ثقافيا.

فالاسطورة هي صراع الالهة , والتاريخ هو صراع البشر . وبينما نبحث في الاسطورة عن جوهرها لمعرفة اصول الاشياء . فان التاريخ يبحث عن الحق لمعرفة اصول السلطة . لان التاريخ هو تاريخ سياسي يسرد اسرار نخبة قليلة العدد من الابطال ضمن مجتمع يتجاوز العد.

ان الشئ الذي يميز العراق عن غيره من البلدان هو التاريخ. فما يتميز الان هو اصداء للازمنة الاولى في الافكار والاتجاهات والمخاوف والرغبات وحتى عندما يجهل العراقيون تاريخهم. الا انهم مسيرون به.ويجب ان ندنو من هذه الاصداء اذا مارغبنا بفهم العراقيين المعاصرين.

انظر خارطة ماينتجه العقل الجمعي

العقل الجماعي والذاكرة الخاصة والمشتركة

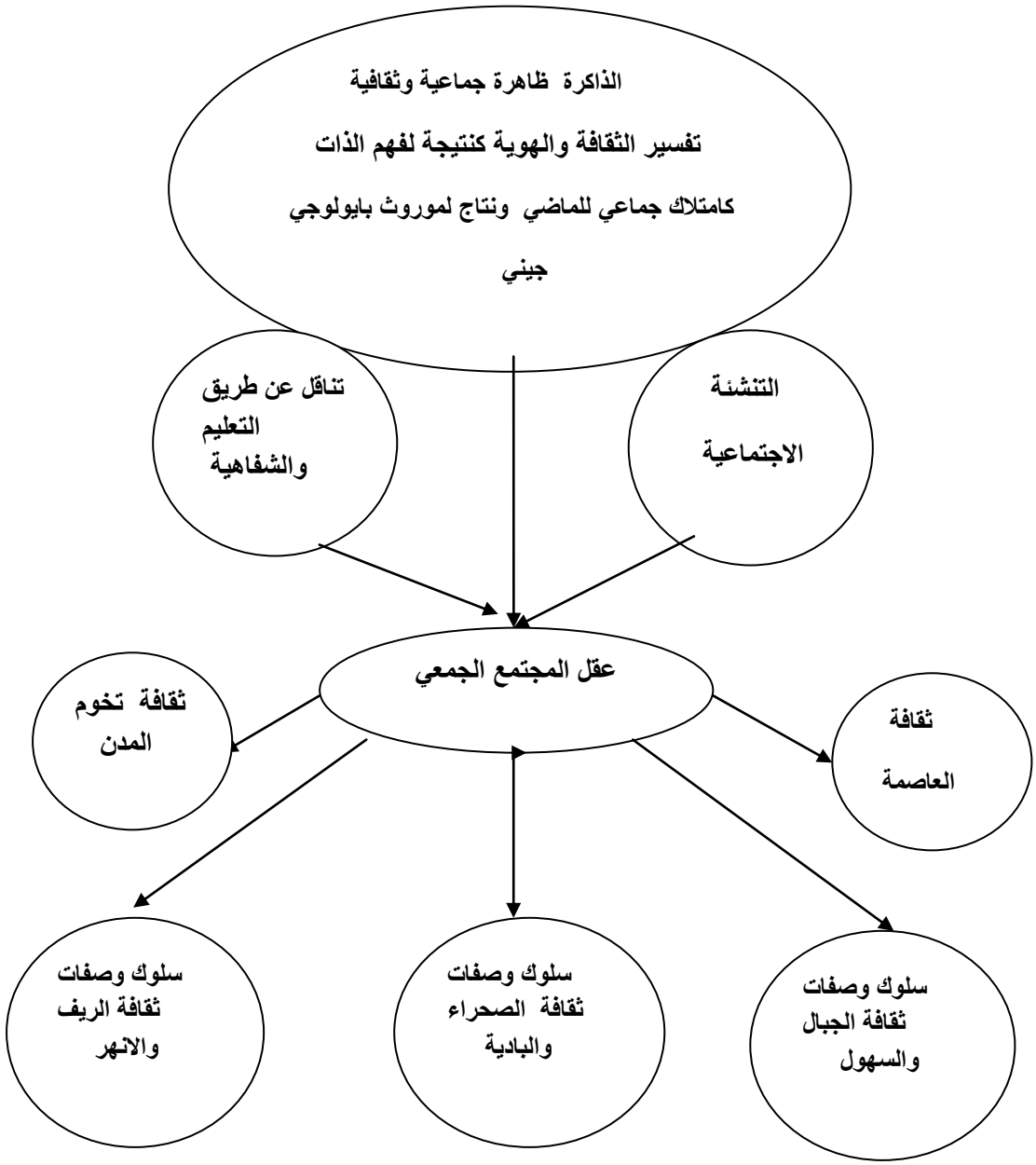

التركيز على العنف وعلاقته بالمقدس , واهمية دراسة التاثيرات النفسية والسايكولوجية , ومدى تقبل احتكار التأويل النصي في مجتمع دون اخر ,هي اولويات التشخيص في دحر وانهيارات الثقافات الجغرافية قبل اندحار الاخلاق بكل قيمها الايمانية والقانونية والتنظيمية, كحق عام تمارسه قوانين التحضر والنهوض بالمجتمعات ليكون الفرد جزءا من الحقوق العامة الضامنة لافضل سبل التعايش مع الاخرين. ان سوسيولوجيا المجتمعات التي تعتبر الدم جزء من قدسيتها كالذبيحة مثالا , لربما تترك حفرا في الذاكرة الطويلة التي لها جيناتها البايولوجية .فتسترجعها عند استنهاض العواطف والمعتقد من حيث الفهم السطحي لمجمل اعمدة الحياة الراسخة منذ القدم في تلكم الحضارات انفة الذكر وغيرها في جغرافياتها المتنوعة.

رابعا : ساسيولوجيا التفخيخ والذبح :

لم تشهد اروقة البحوث والدراسات , اي تفاصيل بحثية في منهجية الخوض , وبشجاعة عن اسباب الانحرافات الفكرية , والمجتمعية وكيفية اختطاف العقول وتسخيرها تحت هيمنة الترهيب وعدم التراجع لاسباب عديدة. تفسيرات للمجرم الاول والحواضن التي تعتبر اوساط لبيئة الجريمة. وماهي الدوافع المتشعبة والعديدة من وراء الاجرام ؟ وتمطية العقول وتسيرها كبهائم ناطقة بالجهل المركب.

وهل من المعقول ان العالم المتحضر الذي يبحث في استراتيجيات الكون والمجاعة وزيادة السكان وارتفاع اسعار الغذاء وشحة المياه وغيرها من منظمات متعددة . والتخصصات في افضل سبل لاختيار مناهج التعليم , كلها مجتمعة ومتفرقة. لايستطيع ان يكبح مناشئ الاجرام والارهاب والذي يهدده في قعر داره ؟

هل كل ذلك بسبب المصالح التي تعلوا على دماء الابرياء والضحايا ؟ . صناعة قناعات متصلدة من تأويلات نصية تخدم اهدافها هو احد اهم الفجوات في المعرفة الشكية لبحوث الاسباب وتاثير العصف اللا انساني للمجتمع بشكل عام , وهذا العجز في تنمية الوعي عما يحدث في عالمنا العربي بل وبالعالم . ماهو الا جزء من ارهاب فكري متعمد يقف عثرة امام اي جهد , لاي دراسة ميدانية يمكنها ان تعري خفايا مناهج تكفير الاخروحواضنها وتمويلاتها.

الفصل الرابع

اندحار الدولة العراقية

عندما تتغطرس الرذيلة فانها سلاح

لقتل كل ماهو قانوني ودستوري!

لقد اعتاد الانسان العراقي على نمط الحاكم المتسلط الذي يعمل يتفويض الشعب او بتفويض الله وينهب عباد الله. ورغم الاعتقاد بوجود عدالة اجتماعية في العراق القديم بعدالة حمورابي, فان ذلك مجرد مستوى ظاهري بين العلاقة بين الحاكم والمحكوم. يمكن رصد التقلبات السياسية التي شهدها العراق القديم وكترة الحروب التي مزقت الحضارة العراقية لاجل بناء دولة موحدة حسب تبرير الحكام الملوك. كان ومازال الحاكم العراقي يحمل معه كل ادوات الظلم وليس العدل عجز العراقي عن مناوءة تسلط الدولة كما عجز عن كسبها لصالحه فكرهها وكرهته. وهي بالمقابل عجزت عن كسب تأيده بسبب شخصيته العصية مايفسر الثورات وحركات التمرد الثيرة ضدها. وهذا التبادل بين المتناضين بين الطرفية الى اخضاع وتسلط من قبل الحاكم وخضوع وامتثال من قبل المحكوم.

تعدى مفهوم االفرد والذات والانا , في ما كان ومازال يسمى بالشخصية الى سلوك جمعي انصهرت الشخصية فيه , فتائر الجمع بها كما تأ ثرت هي فيه فضاعت بنيتها ضمن مفهوم الجماهير السيكولوجي كحشود تعمها الغرائز. ومما لاشك فيه ان هنالك بقايا من شخصيات , احتفظت بقيمها الخلقية وتملك ضمائر حية تتصف بالارث القيمي الذي قرئناه وعشناه. وبشكل عام لايمكن تعميم ووصف للشخصية او للمجتمع , لانهما ببساطة شخصيات ومجتمعات تختلف باختلاف ثقافاتها البيئية والبايولوجية بعضها مازال حيا يعيش معانات البقاء والديمومة . لكننا نحاول ان نلتقط الشائع من المنتج المجتمعي فرادا او جماعات .التي امكن رصدها بعد

الفوضى العارمة من انهيار الدولة العراقية وهيباتها الشاخصة, بكل ماتملك من هيمنة ومؤسسات وقوانين وقرارات نلخص اهمها :

اولا: استخفاف الجماعات لكل ماهو قيمي يمثل المصالح العامة فاستبدل العام بالخاص لتبرز ال نحن لتستاسد على كل من يقف امام مصالحها.

ثانيا: ثقافة الفوضى والطائفة والعشيرة بديلا للهوية الرئيسية الجامعة لكل الفرعيات الطبيعية والوسطية فظهرت الشخصيات الهدمية الغريزية.التي تريد ان تعوض المفقود باي ثمن كان.

ثالثا: الفئات التسويقية في العرض والطلب بين تسويق نفسها ليس للدفاع عن هويتها بل لاستخدامها كهوية عنفية بلا اخلاق وطنية. فانتجت هويات اميبية بلا عناوين. اقلام تروج لهذا وذاك وسيوف تستخدم لنفس الذوات المنتفعة من فوضى التجارة السياسية الدينية والعرقية.

رابعا: ثقافة المظلوم الحاكم كتبرير لمكاسب مظلوميتها عن غيرها والتي تؤمن بان السلطة هي الطائفة او العرق كل حسب جغرافيته. اما السلطات الاخرى القانونية والمواقع السيادية هي تابعة لما كان يسمى دولة وسلطات لاشان لهم بها . سيما وان الطبقات الرثة هي التي تسلمت زمام الهيمنة وتفليش النسيج القيمي المجتمعي المتعارف عليه. مجتمع سلطوي بديلا لمجتمع الدولة. فهي ثقافة لا تتسع الا لمن يصنف بالمظلومية ويسهل ان تكون اكثر ظلما ممن ظلمها حقا , تبادل الادوار بتبادل المنافع والارباح.

خامسا: متاهات التوجه بالمنهج التعليمي الاستبدادي باسلوب ببغائي لاينتج الا الامية الثقافية الخالية من اي تاهيل للابتكار. سواء انخرطت بالدراسة ام تسيبت منها فلا الشارع ولا جو التعليم ومناهجه اصبحت امام الفوارق الاجتماعية الهائلة في الغنى والفقر.

سادسا: الطوائف الخائفة ، المجاملة، المضطربة، المتضادة التي تتلذذ بجلد ذاتها , كمنتج لثقافتين متباينتين هما ثقافة العلن وثقافة السر .وتبعات التهميش.أعادت

التباهي بما سمي بالاغلبيات المذهبية التي تم تهميشها على مر العصور . فكانت ومازالت رغم التغير لاكثر من ستة عشر عام عن استلامها اللاكفؤ واللانزيه زمام السلطة مع بقية مايسمى بالمكونات ذات اللامبالاة واعتبروا جميعا بان المال العام هو غنيمة حللوا اكلها قبل ذبحها. سكان يعيش مناطقه البائسة والمحاصرة .. خاضعة خانعة حسودة كارهة لذاتها بشعور الذنب (رغم ان لاذنب لهم) من تاريخ ندموا عن مذابحه في كربلاء وكأن الكوفة هي كل هذه البيئة ومناطقها .. حزن والم ومعاناة ومظلومية واقصاء وتهميش . شكل شخصيات يصعب اعادة بنائها من جديد لان ادلجة العواطف اشبه بامراض مستعصية العلاج .. الا بعد ان تستبدل باجيال لها مفاهيم مغايرة لما قد رسخ في خيال وشعور ماقبلهم.

سابعا: شيوع ثقافة الطقوس بديلا لثقافة الابداع والادب وقراءة الكتب والترجمة فانتجت جماهير طقسية تفرح وتحزن لطقوسها كيفما تكون.وهي احدى وسائل اثبات الولاء وغسل ذنوب دواخل اسباب جلد الذات.

ثامنا: ظهور شخصيات تروج لتعظيم الذات الكاذب لامتلاكها وعيا زائفا جعلها بهلوانية مخادعة اعتمد بعضها رغوات مراحل سياسية بحجة المعارضة تتظاهر بالتسامح وحب الاخر لكنها تفعل العكس. انها شخصيات الانبهار العائلي والعشائري والمناطقي المبعثر.التي اصبحت واجهات لاسوأ شريحة بالمجتمع وهي شريحة السياسين الذين فقدوا كل شئ من اجل ذاتهم الاستحواذية الشرهة لما هو مفقود لديهم مالا وجنسا وجاها . فامسى الجاهل عالما بشهادة مزورة والسارق امينا والامين سارقا انها مبادلات تجارية لمصالح فئوية بطريقة المقايضة . معادلة سياسية نموذج لما وصل الية التردي في ضياع القوانين والتلاعب في كل ماهو ثابت ورصين. نماذج منحطة تكذب على ذاتها وتسخر بعقول الناس امام شاشات اصبحت نوادي مرئية بلا خلق انساني نبيل.

بعيدا عن عقلية المؤامرة ومن واقع العراق الملموس والمسموع والمرأي وشواهد وشهود تعترف بانها سيناريو فسر بالفوضى الخلاقة فان السيناريو وضع بعد دراسة لطبيعة المجتمعات التي يراد تمزيقها وعزل جغرافياتها بتفتيت الدولة وناسها . من خلال تاجيج الكراهية بين تجمعاتها المكانية , في ازقتها ومنازلها

وبيوتها لتهدم هيبة المكان وتبعث الرعب نفسيا من داخل المجتمعات . والقصد منها هو استهداف اخلاقيات وقيم المكان كل حسب ثقافته وهويته وانتماءاته. ليس هذا حسب بل نهب وتدمير الذاكرة وتاريخها الجماعي . ذلك من خلال هدم النسيج المجتمعي بنظامه الاخلاقي والقيمي المتعارف عليه . وصولا الى تخريب نظام وجزئيات المجتمع نفسه. ثم هدم المنزل والزقاق وصولا للمدينة يتبعها ابادت وحروب اهلية وقيمية وهو ماحدث بالعراق ما بعد 2003 , لابادة اخلاقيات المكنة بجغرافياتها الوطنية التي تمثل مجتمعة امكنة الوطن العراقي.

فقد تم تفليش علاقات الجوار والاحياء السكنية والمذاهب وبناء انظمة الحواجز الكونكريتية كجزء من الحواجز المادية والنفسية والدينية. ليهيمن الارتياب والخوف من الاخر . فظهرت اشباح طارئة مخيفة غريبةانقلبت من خلالها المقايس فالسارق والنهاب شاطرا , والعفيف كسولا غبيا لانه لم يشارك مع غيره غزو ذاته وممتلكاته .

ورغم ان حجم الكارثة كبيرا ومفاصلها متشعبة متعددة التعقيد. نحن بحاجة لبناء الخطوات الهادفة لمعالجة ماحصل من تدهور مجتمعي بحاجة الى ثورة نهضوية تقوم بها كل مؤسسات الدولة الغائبة حاليا حيث ان اعادة عمليات بناء الدولة الرصين تحتاج الى خبرات كل الخيرين من مثقفين استراتيجين ومن خبرات متراكمة وطنية واجنبية للنهوض من قاع الكارثة التي تركتها الانظمة السياسية السابقة والحالية. ومهما تكن الخطوات فلابد من البدء , لاعادة اعمار الانسان اولا للنهوض بكل مناحي الحياة لخلق مجتمع واعي كاساس جوهري لبناء دولة عصرية بلا طوائف متخلفة واعراق متعصبة. وتظاهرات الوعي الشبابي في ساحات التحرير بكل محافظات الوسط والجنوب مؤثر جوهري قابل للتطور ليكون ثور لها مشروعها في بناء وطن للجميع . :"شعار نريد وطن " بنفس جديد اعطى شهداء والاف المصابين دون خوف وجزع ومن اجل اسمى مايمكن ان يكون هو التضحية من اجل كل الناس ليكون لهم وطن بديلا لاحزاب الاسلام السياسي الفاشل بكل المقايس.

خارطة واقعنا العراقي في 2020

لشرائح طارئة اختطفت القيم لتهديم روح الاخاء والوطنية العراقية التي مازالت تعاني للخلاص منهم .

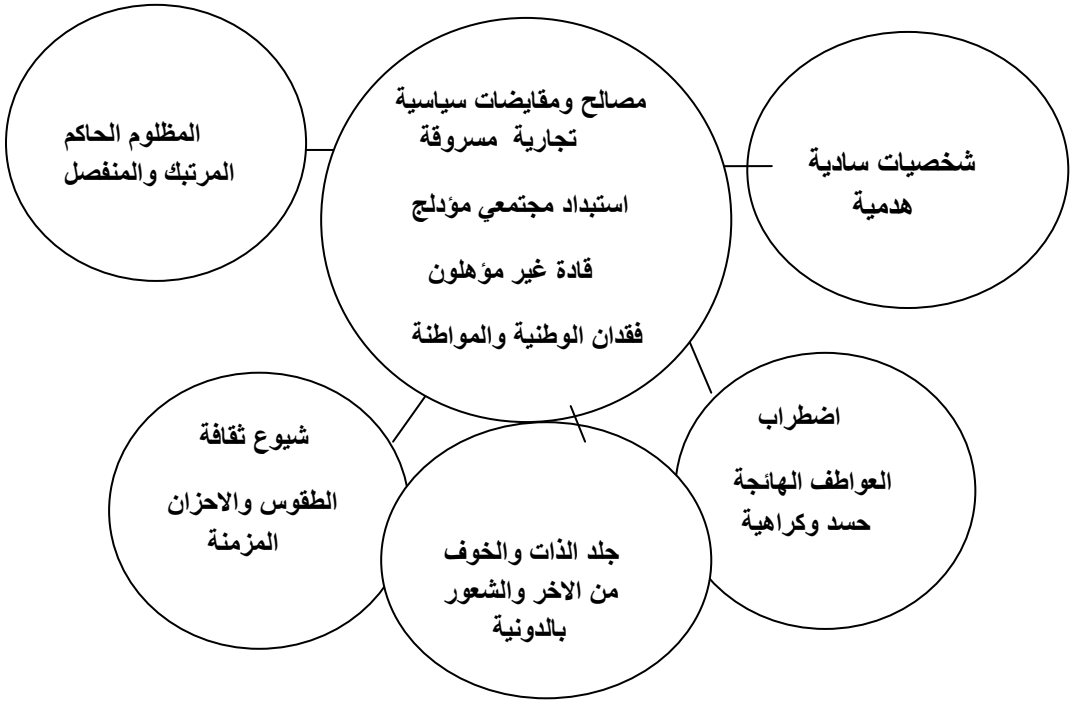

من حق اي مجتمع اي كانت امكنته الجغرافية ان يعيش بحرية وكرامة , ويمارس تقاليده وعاداته وطقوسه الدينية , ويحتفظ بهويته وانتمائه الوطني للمكان ككل او لجزء منه وفق القوانين الدولية المتبعة ضمن لوائح حقوق الانسان.على ان لاتتعدى حقوقه حقوق المجتمعات الاخرى داخل وخارج الهوية الوطنية الرئيسية.

ان بحثنا هذا لايتعدى البحث المعرفي ولاينتمي لاي توجهات سياسية او عرقية تميز بين عرق واخر. انما هي محاولات جادة لم يتناولها الباحثون ضمن الرؤيا والاطر التي رسمناها في موضوعنا هذا. نأمل ان تكون مادة للنقد المعرفي والبحث العلمي لارشفة المكتبات العربية في مجالات علم الانسان والمجتمع والمدن.

البيئة المكانية وطبيعتها كجغرافية بها تنوع طبيعي كالجبال والسهول والانهر والمدن بانواعها والبوادي والصحاري والريف الزراعي ومدن الموانئ وتعدد الثقافات الاجتماعية من خلال السياحة بانواعها الترفيهية او الدينية . كل هذا التنوع الجغرافي له تاثير مباشر على طبيعة السكان وسلوك افراده كشخصيات لها صفاتها . اضافة لما تقدم من فصول حول الامكنة والمناخ , تتناول بعضا مما نراه مكملا برؤية اخرى , سنتناول نموذجا للجغرافية العراقية باماكنها التي تشكل الاغلب في التنوع كمكان وكمجتمع . في جميع المناطق تتسم القيم الاخلاقية العالية بالكرم والجود. والمروءة وهي السواد الاعظم للاعم من السكان اينما عاشوا او رحلوا. والعواطف الجياشة احد اهم الصفات التي تؤذي التعقل في النظر بضروريات واولويا التعامل المجتمعي بين الناس .

ان مشاعر الاغتراب واليأس والكابة والقلق والمشاعر السلبية هي ظاهرة سائدة بين الناس الذين تنقلب أسس حياتهم بصورة عاصفة, ويشعر الناس الذين يعرف بعضهم قبل سنوات انهم بواقع جديد غرباء عن بعض . لان نظرة الجميع للحياة تغيرت تماما والمعاير الاجتماعية والثقافية والاخلاقية وروابط اللغة بلهجاتها المهاجرة والتاريخ والقرابة والجيرة قد حرثت بل قلبت بالكامل.
وكما موضح في خارطة 2020. التي توضح شواذ لم نعتاد على انها تمثل القيم الاخلاقية السائدة والمتعارف عليها عراقيا وقيميا.وبات الناس مايحكمون به على بعضهم بل على انفسهم الا بالحقد ةالحسد والخوف والنقص والكراهية, التي ماهي الا اعراض لتدمير البنية العضوية للمجتمع وروابطة الانسانية والخلقية لزعزعة الاساس الداخلي للانسان وتحويله الة وباء معدي متنقل او الى مخلوق يعوي في الازقة والمنابر العامة , بوهم انه قد تحرر وحصل على حريته وتخلص من الكلبجات الفكرية وقيودها السابقة.

الفصل الخامس

عناصر تناقض وانفعالات المكان

كلُ ارضٍ اكرمتكّ هي وطن ,

وكلُ ارضٍ اهانتكّ هي غُربة!

الواقع الظاهري كاذب ومزور ومغطى. الحياة الحقيقية دائما في مكان اخر لكن النمطية والافكار المسبقة والتحيزات ومنظومة العادات تقوم بوظيفة الغطاء في حجب الواقع. هذا الواقع المحجوب هو الواقع الاصلي، الواقع غير المرئي، المستور، المسكوت عنه.

اضافة الى ذلك أن" التنميط" اي وضع الشخصية في قالب ثابت واطار واحد هي خاصية شهيرة في الثقافة اليومية في حين ان الشخصية الانسانية قد تقوم بأدوار هائلة ومختلفة تتراوح بين الوحشية والتضحية، بين القداسة والبربرية، في مكان واحد وفي لحظة واحدة . كما للانفعالات الغير منضبطة تاثيرها على مجمل الامكنة التي تعيش واقع مرأي وواقع مضموم . وللامكنة لغتها وحيزها كما تحاكي المارة بلغة تنظيم المدن وفي تنظيم السابلة ووسائل النقل بلغة اشارات المرور والاجتياز والتوقف وغيرها من العلامات المرورية الموحدة للغات . لكل مكان لغته التي يقرأها الجميع وان اختلفت لغاتهم الاصلية .

الى جانب وزارة الدفاع، مكان الصرامة والقوة والنظام، توجد مقبرة باب المعظم: مفارقة غريبة أن يعدم زعيم الحزب الشيوعي فهد مع رفاقه أمام بوابة الوزارة ثم يدفن في المقبرة المذكورة. كيف يتحول المكان المخصص للقانون والحماية والكرامة الوطنية الى ضده؟ هذا يحدث عادة في العراق وفي نظام فوضى الامكنة ومن الغريب جدا بل من الخطأ الفادح أن ينظر الى هذا التداخل في الامكنة وفي المعايير على انها" أمور طبيعية" كما هو حاصل في التفكير العام.

جوار مقبرة باب المعظم، المثوى الأخير للأموات والمعدومين والمشردين، يوجد المستشفى الجمهوري ـ المكان المخصص للرعاية والصحة والنظافة العامة وحماية المواطن لكن وزارة الدفاع ومقبرة باب المعظم كأمكنة متنافرة ومتناقضة لا توحي بذلك. كما وصفه الروائي حمزة الحسن في الحوار المتمدن بالعدد 2535 عام 2009. الذي يتناسب مع موضوعي.

المبغى، أو زقاق الخطيئة في الصابونجية ـ ربما تحول فيما بعد الى المكتبة الوطنية العامة التي حرقت في زمن الاحتلال في حين لم يحرق زقاق الخطيئة في كل المراحل ـ كان رمزا للمحرم والشهوة العابرة لكن ليس غريبا أن يغادر جنود أو ضباط وزارة الدفاع في نهاية الواجب أو تملصا منه للتسلل الى هذا المكان وهو أمر يحدث كثيرا لغيرهم: في محاضرة للمرحوم علي الوردي في النجف قال انه شاهد الشيخ ـ كان حاضرا في القاعة ـ جلال الحنفي في الكلجية يوما واضاف الوردي مبتسما: اليس كذلك شيخنا ؟ لم يرد الحنفي ـ ربما، أقول، كان الشيخ يعظ كما ان الوردي كان يدرس أقدم مهنة في التاريخ كما ان جنود وضباط وزارة الدفاع كانوا في نوبة حراسة لحماية الاخلاق العامة من التشوه وحماية المقدس من الطارئ والخ وهلم جرا. لغتنا توفر افضل التبريرات وأبواب الهروب والطوارئ.

وباب المعظم لا يشكل وحده صورة نموذجية عن تشوه الامكنة في العراق. ساحة التحرير مثلا أو الباب الشرقي نموذج اخر: تحت نصب الحرية ومنذ تعرفي على هذا المكان العام والمفتوح الذي يشكل فضاء الحلم بالحرية والاستراحة، تحته وفي زوايا حديقة الأمة يوجد عالم سري" فوق الواقع" أو تحته أو هو الواقع الحقيقي، مختفيا. هناك عالم غريب من اللصوص والمنحرفين من باعة السجائر الجوالين والقوادين ورجال الشرطة ايضا.

ومايؤثر على واقع الامكنة عناصر ناسه وطبيعة المؤثرات فيه مجتمعيا التي نوضح بعضها :

المشاعر: Feelings

هي القدرة على التاثير والتأثُر بشكل شخصي وبايولوجي. بمودة اجتماعية للاخرين. تتميز المشاعر بانفعالاتها الذكية كاحد صفات السلوك الانساني المفعم بالاحساس المرهف. وبدون تاثير المشاعر الشخصية , نفقد الاحساس نحو البيئة التي نعيش فيها . و ومن تاثير المشاعر يتاثرالتعاطف الايجابي او السلبي مع الاخر . هي سمة السلوك والصفات الاجتماعية في الذات. ومانشعر به دائما هو مايوصف بعضا من المشاعر بالاتي :

السمع و التذوق والشم والحرارة او البرودة والمتعة والالم والتوازن والرؤيا والجهد والنشاط .

العواطف : Emotions

هي رد فعل تحفيزي او انفعالي . عنفي او هائم في التسامح . قصيرة الفعل هائجة التاثير والتاثر ان لم تضبطها البصيرة التي سرعان مايستحضرها الوعي حين الحاجة , او بعد فوات الاوان. مايوصف بعضا من العواطف بالاتي:

اليقين والمتوقع . الارتباك والمفاجئة . الثقة والخوف . المتعة والاشمئزاز . الحب والغضب. الغبطة والحزن. الرضا والرغبة.

كما ان العواطف تعتبر:

كسلوك عام متمثل في الفرح والبهجة . وكنظام دفاعي متمثل بالخوف . كما ان القلق يمثل التثبيط السلوكي . والمخطط ادناه يبين الترابط بين المشاعر والعواطف في الفص الايمن من الدماغ . وما ينتج من وعي يريح او يؤنب الضمير من خلال ذكاء المشاعر , كمجسات عقلية في السلوك الانساني . ومن خلال تناغم العواطف والمشاعر وتداخلهما في العقل والضمير . واختلافات السلوك والتصرف والتعامل بين الافراد والمجتمع , الجغرافيا لها اثر مضاف لما هو متعارف عليه . فطبيعة الاخلاق الجغرافيا هي ثقافات تحمل هوياتها التراثية بعاداتها وملبسها ومعتقدها.

الجغرافيا العراقية صنعت تشابك في بيئاتها المعاشة فالفرح الجنائزي له مكاناته والمجتمع الجبلي له بهجته في الزي الملون واللحن الخليط بين الفرح بصوت جبلي واضح . كما للصحراء والبوادي دبكاتها وعنفوان كرم اللابتهاج اللغوي الخاص . انها اجزاء من الجغرافيا التي منها نستمد قرائاتنا في هذا الكتاب.

السلوك الذاتي والتصرف ولغة الجسد :

هو تصرف شخصي لظواهر يعبر عن نشاط الفرد , قد يكون ظاهرا كتصرف وبعضه غير ظاهرا للاخرين. ويمكن تعريفه بانه نشاط وتعامل مع الاخرين . سلبا او ايجابا , منفعلا او متعقلا , بوعي ناضج او وعي منفعل , وفي كلا الحالتين . هما اما رد فعل لظواهر معينة نستجيب لها بسلوكنا, لربما بشكل تلقائي. ونوع يمكن ان يكون فعل نتخذه جراء مانشاهده عن قرب او عن بعد من خلال حدث قد وقع امامنا او نسمع

فيه . وليس السلوك الانساني ظاهرة عفوية وبالصدفة, بل يخضع السلوك لنظام معين, والعلم استطاع ان يضع معاير لتكنولوجيا السلوك البشري , بعد ان تعرف على البيئة الاجتماعية وثقافة المكان . لكن في بحثنا هذا نستطيع ان نتنبأ بطريقة تقترب من الواقع . وذلك عن طريق التناغم البايولوجي اي من خلال الجينيوم البشري وانواع الجينات للشخص , ومن خلال النشأة والتربية التي تبني الوعي السلوكي للفرد. او لمجموعة من الافراد , او السلوك المجتمعي وما يمكن رصده ضمن منظومات القيم الاخلاقية

لمعرفة النوايا وامنيات الناس من اولويات الانظمة القمعية,

ولا قانون في العالم يعاقب على النوايا بلا أفعال.

مع طول الوقت لم تعد السلطة تحتاج الى من يفتش ويراقب نوايا وقلوب ولاوعي الناس،

بل صار المواطن نفسه يقوم بدور الرقيب على نفسه، من رحمك ومن ثقافة ومعايير خاصة بك،

حجم الضربة فيك وقسوة زرع النظام الرقابي الاجتماعي والسياسي في تفاصيله الهائلة.

وعلى أسرته ويحذرهم من النوايا السيئة أو الأحلام، او حتى الكشف عنها

ونظرا لطول الوقت يتحول الرقيب الداخلي الى كائن حقيقي

مزروع في داخل الانسان كبرنامج تلصص،

ويرتبط بمشاعر وعادات ومواقف ويتجذر،

ومع إرتحال الانسان الى مكان آخر يرتحل معه هذا الشرطي السري،

حتى لو في نظام ديمقراطي عادل،

يجلس ويأكل وينام ويكتب معه،

ويحذره كل لحظة من مخاطر الخروج عن القواعد،

والنوايا المحظورة والمشاعر الخفية،

.والرغبة التي تتعارض مع السلطة لأن الرغبة فردية

هذا الرقيب لم أتمكن أول الأمر من التعرف عليه،

أو إصطياده لأنه يعمل في الخفاء وداخل شبكة مشاعر ومواقف معقدة،

ويظهر بصور مشفرة على غير حقيقته،

- وأنت مبرمج على الخوف والطاعة والإمتثال؟
- ولو تخلصت من قيم السلطة السياسية والاجتماعية فيك،
- وهي راسخة منذ الولادة وجاهزة قبلها مع الملابس والانتماءات،
- كيف تتصرف بلا قيم بديلة.

مؤثرات السلوك

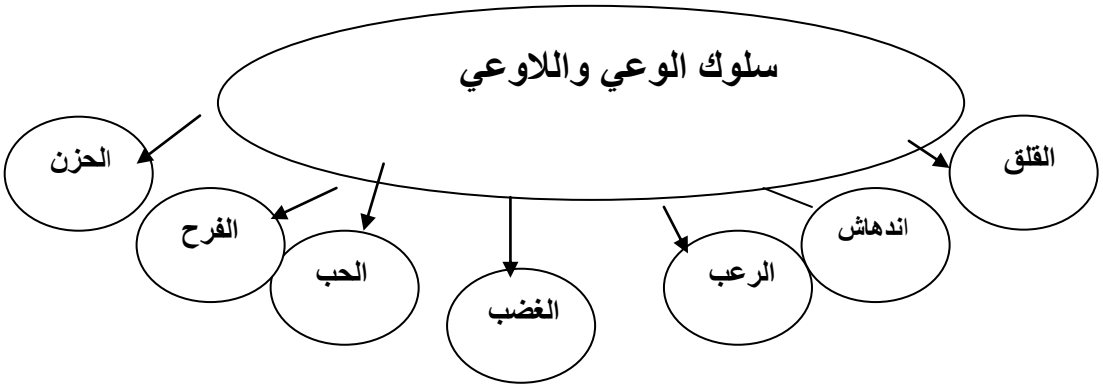

سلوك الوعي واللاوعي :سلوكيات الامكنة سلوكيات متنوعة تعتمد على ثقافة وتعقل البيئة والمكتسب من الموروث الجيني كصفات وتصرف انساني . قد يتعدى حدود المعقول الى عواطف ومشاعر هدمية متعصبة . كذلك تتسم بعضها بحدود اللياقة والذوق والاحاسيس الانسانية في التعابير السلوكية .وهذا مايميز فئة عن غيرها . وماسنتناوله لاحقا. نصف اهمها باختصار لتتوضح مسالك واهم صفات مضامين السلوك .

الحزن :

المعاناة , هموم , اكتئاب , تعاسة , بؤس , اليأس , استياء , خيبة امل ,الشعور بالذنب ,الندم , الخجل , اغتراب , حنين للوطن , العزلة , الاهمال , انعدام الشعور بالامان ,

الاحراج , الاهانة , السب ,الشتم , شفقة , تعاطف .

الفرح والابتهاج :

مرح, تسلية, بهجة, غبطة, بشاشة , سرور , سعادة , تمتع , رضا , نشوة ,تلذذ , واثارة , تشويق ,متعة نشوة , انغماس بالطرب , امل , تفاؤل , انبساط .

الحب والاعجاب:

عشق ,مودة ,ولع ,انجذاب ,رعاية , حنان, عواطف , اثارة ,رغبة , شهوة ,شوق , افتتان , رعاية .

الغضب والانتقام :

مفاجأة , دهشة , تهويل , تضخيم , تهيج , اثارة , انزعاج , نكد, تجهم,سخط , احباط,غضب , عداء , شراسة, مرارة, كراهية, ازدراء, ارغام , انتقام , استياء, اشمئزاز, احتقار , حسد وغيره.

الرعب ,الصدمة , القلق والريبة :

ذعر , هستيريا , خوف , رعب , صدمة , اهانة, قلق , عصبية , توتر , اضطراب .

الاندهاش:

ذهول , مفاجئة , حيرة

المداهنة :

المداهنة نوع من الخداع , والغش بما تضمر للاخر ,تملق ونفاق لقضاء مصلحة شخصية . هو الانسياق الاجتماعي السائد , في مجتمعاتنا كسلوك يومي بسبب , وجود فوارق هائلة

بين الاستبدادات المتنوعة والتمايز الطبقي في المجتمع . وبين عامة الناس التي تشعر بانها مهمشة لامكان لها لتتعرف على شخصيتها الا عن طريق المداهنة , والغلو في نفاق التعامل الاجتماعي مع الاخر لتمرير المصالح. ومن اخطر شيوع النفاق الاجتماعي والمداهنة هي عندما تكون ممارسة وظاهرة اجتماعية عامة تمارس في معظم مناحي الحياة.

الخوف والحاجة وفقدان الثقة بالنفس سلوك يعتمد على النشاءة وجغرافية المكان . هي ثقافة عائلية تنطلق من ثقافة ازدواجية . ثقافة مايتوجب ان نقول وثقافة البوح بالممنوع داخل العائلة . ثقافة العلن وثقافة السر. هي بنية عائلية تتوسع لتكون ضمن المدرسة والبيئة ثم المجتمع بفضائه الاوسع. النفاق الثقافي والسياسي والاجتماعي , سمات مجتمعية تمارس كجزء من تحقيق الذاتوية الانوية . بغض النظر عن معاير القيم الاجتماعية العليا , ومنظومة الاخلاق المجتمعية التربوية.

افرازات الحروب والسلطة القهرية والشعور الذاتي بالاستهداف الفئوي لمجموعة دون غيرها . هو احد اهم ممارسة المداهنة والنفاق بشتى انواعه. كوسيلة لتجنب الاذى . كذلك للاعلان والتظاهر بالولاء والانتماء رغم شعور المنافق بخداع ذاته قبل خداع الاخر. انها معاناة اجتماعية يمارسها معظم افراد المجتمع العراقي . لما تراكم عليه من استبدادات وحروب ومآسي مجتمعية . انعكست على تعاملاته الاجتماعية والوظيفية مع الاخرين. بحيث اصبح التملق عادة تقترب من موروث مكتسب من البيئة الاجتماعية , المتنوعة مكانا وثقافة ومعتقدا.ويمكن ان يكون مكتسب جيني من البيئة المعاشة .وهو احد مكتسبات الثقافة المكانية .

االتباهي وتضخيم الذات الكاذب هو الاخر تماهي في عملقة الاوهام وتحويلها الى كذب . هو احد امراضنا الاجتماعية , المنافقة , التي نضخم بها احتفالات الافراح ومواكب الاحزان , كنوع من الولاء الخادع الذي ينطلق من نفوس تشعر بالانهزام في داخلها . لما تعاني من ازمات نفسية واضطرابات في العواطف والمشاعر التي لاتنتمي للسلوك المنضبط والعاقل. وعادة ما تتصرف مثل هذه الشخصيات بانفعالات اللاوعي بين لحظة واخرى . تارة تتعاظم العواطف وتصبح سلوك هائج وهائم وغير منضبط. سرعان ماتنقلب راسا على عقب الى عواطف جياشة يسودها البكاء والحزن . لتعبر عن شعورها بالذنب عما كانت عليه من انفعالات تصل للهدمية ضد الاخر. كل ذلك نراه في تعدد الولاءات الاجتماعية –عشائرية او دينية .و فريدة لجذب انتباه الاخرين بسبب الشعور بالادنى من الاخر . كل ماتم تناوله هو وقائع مازالت شاخصة في مجتمعنا العراقي الذي عانى من ظروف قاهرة مازالت تتجدد باطر واساليب متنوعة. لم يعانيه اي مجتمع آخر في المنطقة. ومازال يشعر بمصير ضبابي

مضطرب انعكس على سلوكيات المجتمع بمختلف مناطقه واعماره وفئاته وبالاخص في مجتمعنا .

الخجل كسلوك :

" فجائته احداهما تمشي على استحياء " آية كريمة.

الخجل كما يعتقد علماء النفس في حد ذاته ليس سوى ثمرة من ثمار شجرة , الخوف والقلق والتهميش . الاقدام والإرادة بمفهومها الانفعالي والسلوكي تلعب دورها الفعال الأساسي في حياة الفرد الذي يتميز عن غيره ثقافة وبيئة يتميز بهما عن غيره من الناس ولكل منا نزعته وتفكيره وانفعالاته السلوكية الخاصة به وأن عقدة الخجل وانفعالاتها الوجدانية والنفسية تختلف بين فرد وأخر وذلك لتعدد الأحوال والعوامل والظروف الموضوعية التي تحيط بحياة كل مخلوق بشرى والناس وهم كائنات بشرية متعددة الخصائص ومتنوعة الدوافع. يجب دراسة كل شخص على حدة لعدم الترابط النفسي بين الناس كمجتمع ولا بد من الإشارة إلى العوامل الرئيسية التي تساعد على خلق الخجل والحياء لدى الأفراد والتي تتلخص في عاملين هما (العامل الجسدي والعامل النفسي)ولكل من هذين العاملين تأثيره البعيد والقريب على وجود الخجل وربما وقع الإنسان تحت مؤثرات داخلية وتفاعلات خارجية من البيئة التي يترعرع فيها.

حيث تلعب الوراثة دورا كبيرا في شدة الخجل فالجينات الوراثية لها تأثير كبير على خجل الطفل والكبير من عدمه فالخجل يولد مع الطفل منذ ولادته وهذا ما أكدته التجارب ولان الجينات تنقل الصفات الوراثية من الوالدين إلى الجنين والطفل الخجول غالبا ما يكون له أي أب يتمتع بصفة الخجل وإن يكن الأب كذلك فقد يكون أحد أقارب الأب كالجد والعم فالطفل يرث بعض صفات والدية.

وأشارت دراسة جديدة خاصة بتصوير الجهاز العصبي أقوى الأدلة على أن الخجل غير العادي لدى الأطفال يمكن أن يحدث بسبب تغيرات في أدمغتهم فقد استخدم باحثون في كلية الطب بجامعة هارفارد التصوير بالرنين المغناطيسي لفحص عدد من البالغين الذين كانوا معروفين بالخجل أثناء طفولتهم ، وحين تم عرض صور لوجوه غير مألوفة على هؤلاء الأشخاص ظهر نشاط في لوزة المخيخ لديهم أكبر بكثير من نظائرهم الذين كانت طفولتهم تتميز بالنشاطات الاجتماعية . وتتمثل وظيفة لوزة المخيخ في اليقظة والخوف وفي السابق كان يعتقد إن الخجل الذي يظهر أثناء الطفولة ويستمر في كثير من الأحيان أثناء البلوغ يعود لأسباب تتعلق بتطور المخ لكن هذه الفكرة لم تتعرض للدراسة والبحث لأنه كان من الصعوبة لمكان إجراء تصوير لمخ الأطفال الصغار .

انواع الخجل الاجتماعي:

1) خجل الخوف Fearful shyness .

2) خجل بالذات Self - consciousness shyness

3) الخجل العام Public shyness : يتميز صاحبه بعيوب في الأداء مثل الحرج عند ممارسة المظاهر السلوكية العامة مما يؤدي إلى الفشل في ممارستها .

4) الخجل الخاص Private shyness : يختص بالشعور الذاتي بشيء ما أي تكون لدى الفرد الخجول ذاتيا بعدم الارتياح والخوف من التقييم السلبي وبالقلق وبالحساسية الزائدة للذات وبالاستثارة الداخلية (internal arousal).

5) الخجل الاجتماعي الانطوائي Introverted - Social - Shyness

أي الميل للعزلة ولكن مع القدرة على العمل بكفاءة ونجاح مع الجماعة إذا اضطر الشخص لذلك .

6) الخجل الاجتماعي العصابي Social - Shyness Neurotic -

يشعر بالقلق الناتج من الشعور بالدونية بالحساسية المفرطة نحو الذات وإحساس بالوحدة النفسية وخوف من إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين .

ومن خلال التعاملات الاجتماعية على جميع المستويات التي يمارسها الكثيرون من مختلف الاعمار والمهن والوظائف . ان الخجل ممارسة واسلوب سيكولوجي واجتماعي وبيولوجي (عضوي بسبب عوق جسدي مثلا) . وان الخجل ايضا يتصف بثلاث ممارسات عملية من خلال البيئة المكانية كالاتي:

اولا:انتباه زائد للذات.

ثانيا:انشغال مفرط بالذات.

ثالثا:تقويم سلبي للذات.

آخذين بالاعتبار ان معظم اساليب الخجل خفي غير ظاهر وبعضها مزاجي. يمكن ان نصف الخجل , بالمفاهيم المتداخلة والمتشابهة , في الشكل الاتي :لما بان البخيل والاستحواذي لايشعر بالخجل من ممارساته . فهو يعتبر ذلك غالبا لامغلوبا

وهنالك خجل مفتعل او مقصود ليعطي انطباعا للاخرين بحسن الاخلاق الاستعراضي وهو نوع من الخداع الاجتماعي او المداهنة . واخطرها لباس الخجل الخادع كمداهنة للانقضاض

على الوليمة باسم المؤمن والذي يخاف الله ويحلل الحرام ويحرم الحلال.

درجات في الخجل , العادي والشديد . ومن الضروري التميز بين الخجل الطبيعي والخجل المرضي. وكما ان للخجول صفات حسنة , كالاحتشام والعفة والاخلاص . والخجل هنا عندما يكون التعامل بالضد من منظومات القيم الاجتماعية.

جزأ من الاخلاق الاجتماعية غيابها تعني

ان كنت لاتستحي فاعمل ماتشاء

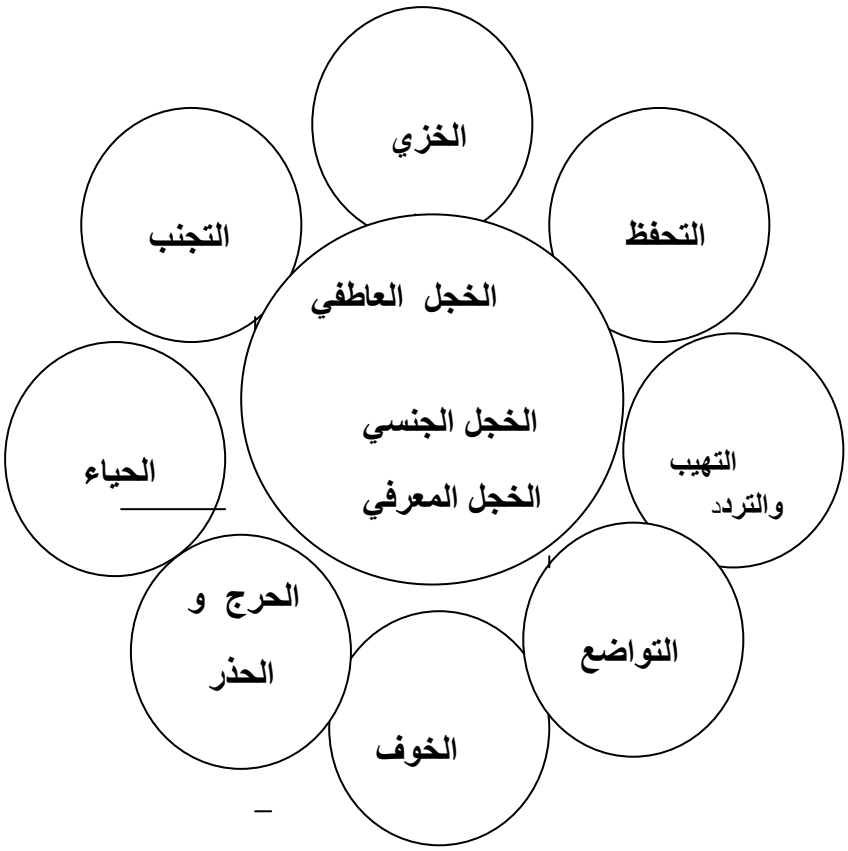

الفصل السادس

القيادات الاخلاقية

بناء ابناؤك اهم من البناء لهم !

تناقضات اخلاقية:

"القيادة الأخلاقية" هي أن الناس يمكن أن يكونوا "قادة حقيقيين" للمجتمع، بدلاً من "المسؤولين"والدعاة. فإن هؤلاء القادة سوف يتصرفون بطريقة "أخلاقية". الذين يشعرون بالفزع من الوضع الحالي ، العامة والخاصة. هؤلاء "القادة" نسميها "قيادة بطولية". على عكس السلطة الأخلاقية ، تفترض القيادة البطولية الفعالية السببية. القوة ضرورية. وبالتالي فإن البحث عن "القيادة الأخلاقية" هو السعي إلى التوفيق بين السلطة والسلطة الأخلاقية. يجب أن يكون لها علاقة قليلة بالسلطة الشخصية لأي شخص "لإنجاز الأمور". وجود سلطة أخلاقية لايعني أن هذه السلطة لديها سلطة "لإنجاز الأمور" المرتبطة بها . بعد تبادل الثقة بين المجتمع والقيادات الاخلاقية , تصبح الحاجة الى قيادتها للمجتمع ملحة مجتمعيا وقانونيا كرموز اخلاقية تلبي حاجات واخلاقيات الامكنة في الدولة راعية القانون والسلطات الاخرى لمنع الظواهر والممارسات ومافيات السياسة في ادناه:

1. الرشوة والغش :

الارتشاء كان منذ نشوء اول حضارة في التاريخ , كانت على شكل هدايا ومواد عينية. شرّعَ لها حمورابي قوانين صارمة, لمعاقبة كل من يتعامل بالارتشاء. واسوء مايصيب المجتمع بجغرافياته ضمن مؤسسات الدولة هو : عندما تكون الرموز في المجتمع هي المرتشية والفاسدة كرجل الدين والقاضي والحاكم والمعلم والاستاذ والقائد السياسي . وانتشار الكذب وهو الحاضن الاخطر لكل انواع التردي الاخلاقي والقيمي الذي يشمل كل ممارسات التزوير والسرقات وتبريرها المقدس القاتل.

الرشوة تعتبر نمطية وعادية في تمشية معاملات المواطن والموظف الحكومي والتي يجب ان لاتكون هكذا. فالارتشاء اصبح مرادفا لاي عمل تجاري, او هو وسيلة مالية

لتسهيل اجراء المعاملات في اطار لاقانوني وخارج منظومة الاعراف الاخلاقية .

الارتشاء خطر يداهمنا في اي خطوة تحتوي على تبادلات سلعية مالية كانت او استهلاكية , حتى وصلت الرشوة الى اعلى مناصب الدول المتقدمة والدنيا, فهي نهج لسرقة الاخرين او هي اغراء مقابل تنازلات, حتى تصل الى مرحلة الخيانة العظمى التي تهدد الامن القومي للبلدان. والتي يطلق عليها بالعمولات مقابل اتعاب و عادة ما تمارسها الشركات الكبرى . او اجهزة مخابرات لجمع , معلومات سرية مقابل اموال .

اصبحت الرشوة اخطبوط يزحف في اكثر الامكنة سرية وحصانة, نوصفها:

1. اشبه بعجلة لايتوقف نشاطها حتى في عالم السياسة.

2. يدخل الارتشاء حتى في تدقيق حسابات الشركات.

3. يتدخل وبوسطاء محترفون لمنع تاثير الراي العام على خروقات الحكام في الدول المتحضرة والديمقراطية. ويتحول الى مافيات تقتل من يكشف سرقاتها .

4. ا لارتشاء هو فساد اخلاقي وجرمي لا يمكن ايجاد مبررات في خلل عقلي مثلا كي يكون الفاعل الحقيقي بعيدا عن العقاب.

5. عندما يستفحل الفساد المالي, وذلك بشيوع الارتشاء في العقود الوهمية يحدد التفاوض بها فقط عن كيفية استلام العمولات وباي حساب تدفع. وليس بالتفاوض على نسب انجاز الاعمال.

6. المال السياسي من الرشوة, يتعملق على حساب الدولة وتنشط في احضانه عصابات تتخاصم على غنائم المال المسروق على شكل قطاعات وعوائل ومقاطعات يصعب محاسبتها قانونا , لان القتل هو احد وسائل الرشوة المنظمة.

ورغم خطورة ماورد اعلاه وعلاقته على امن المجتمع والامن القومي .

لايمكن بناء دولة تنقل الانسان من مكانه السئ الى مكان ارقى لاسباب عديدة منها .

ب.اي اضطرابات او نزاعات داخلية هي مكسب اضافي لبيئة الرشوة والفساد والتهريب .

ج.الارتشاء او العمولات ,همها سرقة الاموال وتبيضها على حساب المال العام , وتدمير الاقتصاد واضعاف الامن القومي.

د.الرشوة ممارسة لشرعنة الفساد الاجتماعي, وتكوين بيئة فاسدة يصعب اصلاحها.

عندما تتغلب المصالح الفردية الفئوية على مصلحة المجتمع , تتهاوى القيم الاخلاقية , في مختلف المجالات وتصبح المنافع هي القيمة الاعلى بالفرد والجماعة , تضمحل الروابط المجتمعية لتحل محلها جماعات وتكتلات تتخلل في افساد ماهو قيمي واخلاقي . واغراء من يتحمل عبئ الامانه المالية , والاخلاقية , بعد التجسس على نقاط ضعفه وحاجاته المادية . او تتعرف على اهواء ورغبات الافراد وما يطمحون اليه من ملذات , كي تكون منافذ الاختراق معروفه بتحديد الوسائل المراد تحقيقها وصولا لتخريب ماهو قانوني ونظامي في مؤسسات الدولة والمجتمع. وهكذا تتاكل الامم بنخر جسدها بالتدريج الى ان تصل لمواحل يصعب الرجوع عنها لما للغش والفساد . لتتحطم كل ارادات الخيرين وتجعلها متورطة في تدنيس شرفها المهني . او لتخويفها وترهيبها من البوح عما جرى او يجري.

هذه هي سمات المجتمعات التي تعاني من انعدام الطمأنينة وفي المجتمع العراقي على وجه التحدي . شاع الفساد المجتمعي في اروقة المؤسسات الحكومية بمحتلف واجهاتها . اعلاها واقلها تدرجا في مهامه التي باتت مرتعا لكل من ليس له ضمير حي . واصبح النسيج المجتمعي المختلف بقيمه واخلاقة احد اهم مفاصل الانهيار المزمن الذي يصيب المجتمع بشكل مخيف .

الحق العام هو الضحية والمقتول في مجتمعات خرجت من حروب واحتلالات . مازالت تسرق وترشي وتفسد وتخرب . لتضع كل ماتراكم من اخلاق المجتمع في بيئته الثقافية من معتقد ديني وتراث حضاري عريق ومبادئ ترسخت جذورها تربية وممارسة .في هزازات تغربل ناسها ومبادئها . لتجعل من الاحتماء بقانون السماء الالهي , خسارة امام من استبدل قوانين التحضر والتاريخ المجيد الى تذكرة لشعارات جوهرها كاذب ومزور ويصبح الانتهازي والمنتفع , لهم اولوية الصدارة في مجتمع , ظل الطريق السوي. فتساقطت الطبقات المنتجه بابداعاتها وعرق جبينها واستبدلت بطبقات

الغفلة والتردي الاخلاقي الذي اصبحت اعرافه ومنظومات ماكان يسمى بالقيم الاخلاقية و الى مفاهيم النطيحة والمتردية باطار دوائر تغطية على اللانزيه والامين والمخلص . باسم دوائر او هيئات النزاهة ! للتعمية على الحق والمال العام

2 الاستغناء والاستحواذ :

عندما كان الزحام كبيرا في قطار الهند , وبينما يهم الزعيم غاندي وقع احد نعليه وبقى بنعل قدمه الايمن . بينما بدا القطار بالسير . فوجد ان من الافضل ان يرمي نعله الاخر , لكي يستفاد منه من سيجد النعل الاخر. فكان الاستغناء عن نعله جوهر في فلسفة الاستغناء بديلا للاستحواذ و الذي يضر الاخر .

ويمكن ان نوضح الامثلة التالية التي هي جزء من تعاملات مجتمعية نمارسها بشكل شائع باختلاف الوسائل والغايات.

اولا: كل منا له حقه ولايتجاوز حق الاخر :

لك ماتمتلك **ولي ما امتلك**

كل منا يحتفظ باشيائه , حاجاته , وكل منا مقتنع وراضي عما لديه. التزام قانوني واخلاقي ينظم حق الفرد بالمجتمع . وهي حالة عادة ماتسود في المجتمعات المتجانسة والتي لها منظومات قيم. ومستعده ان تعطي بعضا مما تمتلك او تشارك الاخر بالتكافؤ الاجتماعي.

ثانيا : نتشارك فيما بيننا من منطلق العيش السليم :

لك ماتمتلك لي ما امتلك

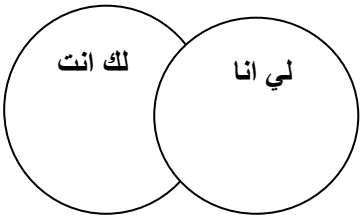

السلوك الاجتماعي السليم هو ان تكون سعيدا وتسعد الاخرين . سعادة الفرد من سعادة الاخرين.ليست للاستحواذ مكانا في التعاملات . الاستغناء والتسامح وحب الاخر هي سمات السلوك الواعي.

ثالثا:ما امتلك انا هو لك وما تمتلكه انت هو لك :

لك ماتمتلك لي ما امتلك

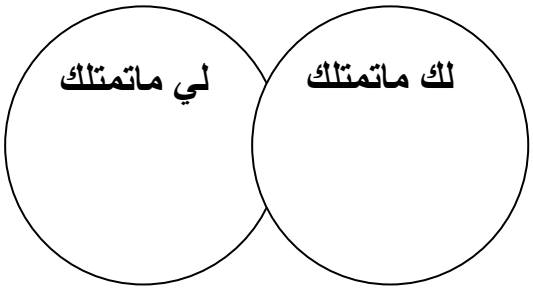

افضل سمات السلوك المجتمعي في العطاءوالاستغناء . لتجعل من الاخر مطمئنا بسعادتك ورضاك ايضا. تجعل من يمتلك شيئا سعيدا بما لديه . وكل سلوك هو سلوك يؤسس لتراكم ثقافات الاستغناء الانساني بهدف دوافع اجتماعية نبيلة .

رابعا:ما تمتلك انت هو لي وما امتلكه انا هو لي ايضا :

لك ماتمتلك لي ما امتلك

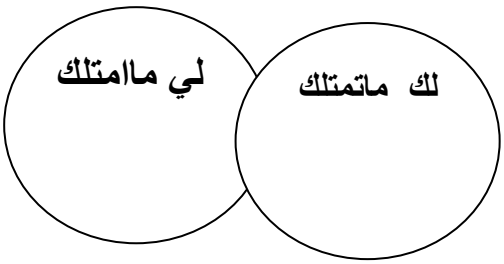

سلوك استحواذي. هنا يكمن السلوك الفردي او المجتمعي اللاسوي.ثقافة الانا السفلى . في التحايل والغش والمراوغة والطمع . لتحقيق ممارسات تتعدى الفردية وتتجاوز الافراد للهيمنة على المال االعام وما يمتلكه الغير. وهي عوامل تستشري لتصبح فسادا ماليا يمارسه المجتمع ويصبح فسادا مؤسساتي . تحميه بؤر الفساد التي سرعان ماتتحول الى آفات ومافيات تتعملق على حساب ضعف الدولة وغياب القانون والعقاب والقيم الاخلاقية بالمجتمع .

هؤلاء هم من يتحكمون بفرهود السيادة الجغرافية وبيع الحدود والمنافذ البرية والفضائية والبحرية . انهم يمثلون رثاثة ادنى سمات الاخلاق الغريزية التي تفضل منافعها الخاصة على كل قيم الاديان والمذاهب والوطنية. هم انفسهم من عفى عن المجرمين الذين انتهكوا المحرمات مقابل مقايضات ومكاسب مالية . وهؤلاء كادوات ووسائل لاندحار الاخلاق والقيم الوطنية في جغرافيا العراق كل حسب نفوذه وامكنته في تخريب الانظمة و القوانين والاعراف والشرائع.

الفصل السابع

لماذ حصل الانهيار القيمي في العراق

اذا وضعت احدا فوق قدره فتوقع منه ان يضعك دون قدرك!

علي بن ابي طالب

تاثيرات المكان والامكنة :

التركيز على النشاءة والبيئة ومدى تاثير الجغرافيا وطبيعتها على الفرد والمجتمع في السلوك والتعاملات مع الاخرين. وللجغرافيا الثقافية وطبيعة المناخ والغذاء هو ما سيكون ضمن بحثنا . لاهمية ذلك وغيره من العوامل التي تؤثر على التعامل الانساني .

وبالنظر لاهمية معرفة سلوكيات الافراد في المجتمع , والتعايش معه لغرض تقديم ادق التفاصيل في بحث السلوك المجتمعي. وما طرأ من تغيرات هائلة عليه , ولكوني عراقي من هذا المجتمع بسلبياته وايجابياته اعطي لذاتي ولضميري امانة تناول اهم تفاصيل النقد المعرفي في هذا المجال وساخضع كما اي عراقي اخر لذات النقد لاكون جزءا منه . ولاني اعتقد جازما ان للعراقي ظروفا قاهرة مر بها , ميزته عن غيره من المجتمعات المجاورة والبعيدة. لهذا سيكون تناولنا لما كان يعرف منذ بحوث الدكتور علي الوردي باطلاقات هامة عن "الشخصية العراقية" . هي تلكم المتغيرات الجذرية علينا كمجتمع عراقي انا احد افراده .واينما ذكر المجتمع او لفرد العراقي , فانا اول المعنين في الوصف و بل وجزءا منه بسلبياته وايجابياته . بمفاهيم الجفرافية التي تمثل تنوع الامكنة وثقافاتها داخل العراق بعيد عن التعميم في ان الفرد العراقي بثقافة واحدة بل هو حقا مختلف من مكان لاخر جبليا وصحراويا وريفيا ومدينيا.

في الشكل ادناه ا كعناصر مؤثرة على اخلاق الفرد والمجتمع . والتي تشكل الوعي الجماعي للجماعات المكانية والجمعي لمجموعها . بما يكتسب من ثقافته المجتمعية من انواع الوعي المختلف الزائف والناضج منها. هي معادلة جديدة . نبحث فصولها بمنهجية التسلسل المعرفي , حسبما نراه. آمل ان نوفق بذلك.

صناعة سلوكنا الاخلاقي

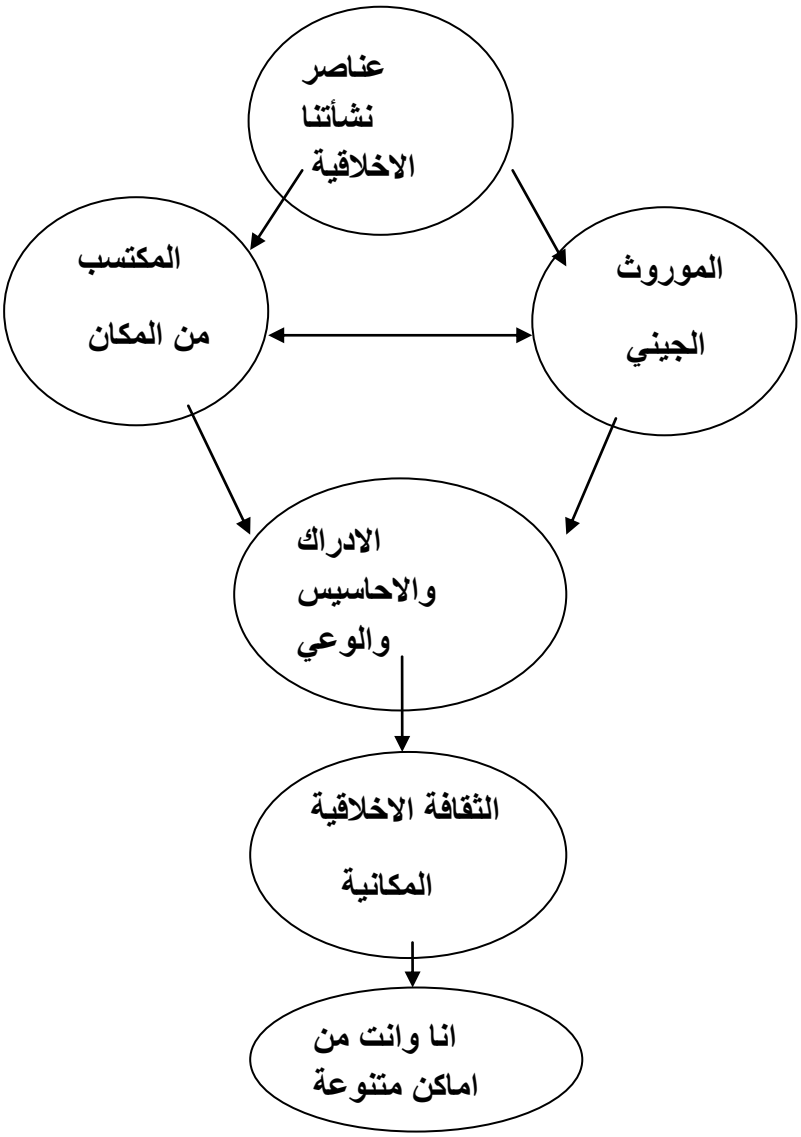

اولا : النشاءة :

التنشاءة هي النشئة التي اكتسبنا بها ثقافتنا الاولى . هي ماتم اكتسابه عنوة عنا, اسمائنا و معتقداتنا , ثقافتنا بعاداتها وتقاليدها , ملبسها واكلاتها ولغتها التي نتداولها . هي ما يتم بنائه في مايسمى بشخصيتنا في طبيعة الثقافة المجتمعية , التي تتضمن منظومات القيم العشائرية والدينية . اي الاعراف والشرائع . هي منظوماتنا القيمية الاولية التي منها , تعودنا ان الاحترام هو الادب والاخلاق هو الحاجز بين العيب ومحددات الخارطة التي علينا الالتزام بها .

من مجتمع النشاءة تكونت جنوسة الدماغ. اي هويتنا الجنوسية . هويتنا الذكورية . من تصاميم بيوتنا السكنية , التي بها مجالس الرجال عن مجالس النساء. في المدرسة والشارع وطبيعة الالعاب بين البنين والبنات. تتشكل ثقافتنا الاولية التي يليها ادراكنا ووعينا بما تعلمناه واكتسبناه من النشاءة. ان كانت طبيعة المكان بقربه او بعده عن مركز المدينة . طبيعته المكانية دينية ام عشائرية ام كلاهما يكمل الاخر . وهو وعي مجتمعي سائد في ثقافة المكان. او ان كانت مدينة دينية بها اضرحة الصالحين او مقابر لعامة الناس. كل هذه العناصر المكانية والثقافية . تشكل منظومات نكتسب منها ثقافتنا المكانية بما يتظمنه النشاط السكاني والعام للبيئة التي نكتسب ثقافتنا منها.

كلما كان النشاط الاقتصادي للبيئة غير منتجا اي خدميا , كلما تعددت الرموز فيه واصبحت لكل فصيل رئيس ووجيه يمثل جاه المكان. وكلما كان النشاط المهني متوفرا كلما تلاقفت الاجيال مهن الاباء في ثبات الحرف والمهن.

ثانيا : المكتسب البيئي:

يتاسس وعي الفرد والجماعة من خلال مايتم اكتسابه بيئيا . العائلة, الاصدقاء, المدرسة , والمجتمع . الاعلام والثقافة التربوية والتعليمية , بما فيها التنظيمات السياسية ومنظمات المجتمع المدني . والايديولوجيات التي يروج لها ضمن تنوع مصادر الكتب والادبيات في الاسواق والمكتبات .

المجتمعات التقليدية بما يؤسس لها من : النشاءة والمكتسب البيئي كمنتج ثقافي مجتمعي يحمل سلوكا بوعي ناضج ووعي زائف . كل ذلك مجتمعا ومتناغما فيما بين عناصره

يؤسس للشخصية بهوياتها المتعددة , متضادة او متخاصمة . هويات مازومة ام هويات صنمية لاتقبل الاخر.

وهنالك تباين في وجهات النظر في تعريف الشخصية . ولكن توجد وقائع وحقائق اساسية في ان الشخصية متفردة اي هي وحيدة في ذاتها. فلايوجد شخصان حتى في التوائم

ثالثا :الثقافة المجتمعية:

المجتمعات التقليدية قلما يتصرفون بوحي من المعرفة العقلانية والاستقرائية او التأملية. بل يتصرفون غالبا بوحي غريزي وانفعالي بدائيين. وهي احدى سمات الثقافة السكونية , اي ثقافة الركود . كونه نشاطها التعليمي يعتمد الاسلوب التلقيني في مناهجهه التعليمية المنمطة وفق مايتبئ بها من مناهج تؤسس لاستبدادات تعليمية لاترتقي لمنهجية النقد الواعي , والمبدع. من اجل خلق افكار تتغير وفق حاجات المجتمع التي تحتاج للتغير الدائم حسما تتطلها ثقافتها الواعية . ضمن ثقافات التلاقح مع ثقافات اخرى اكثر ديناميكية من ثقافات العقل العربي بذهنيته الاحادية .ونستطيع القول عموما ان كلا من العقل او النقد الابداعي لم يعش اي منهم في رحاب الاسلام حرا طليقا . بل عاش خلف ادلوجات من الحواجز المستورة.

فتاسسب ثقافات مجتمعية مكتسبة بايديولوجيات تتصف بالاتي:

1. ماينعكس في الذهن من احوال الواقع انعكاسا محرفا.
2. نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب او يمتنع عن تحليله او نقده.
3. نظرية او مفاهيم مستعارة او مترجمة لم يستوعبها المجتمع.
4. ظهور تيارات دينية احتكرت التاؤيل النصي . وان فسر البعض او اوّل فات تاؤيله تاؤيلا سايكولوجيا منحازا.
5. شيوع تقديس الجهل في الوعي الجمعي للثقافات المسيسة في تدين السياسة او تسيس الدين .

من هنا تنشأ الاستبدادات كمنتج لممارسات متعددة الجوانب كثقافة سائدة وجزء من الاعراف الاجتماعية التي تعلو على القانون وتشريعاته , ومن هذه الاستبدادات:

آ. الاستبداد العقائدي : هو القناعة بان اعمال الانسان ورزقه وعمره وخارطة مسيرته الحياتية مرسومة له منذ النشاءة.

ب . الاستبداد الفقهي : ماينسب للسلف الصالح , واحتكار التأويلات النصية , وتكفير من يخالف ذلك .

ج . الاستبداد السلطوي : استبداد الادارة والمناصب والنظام في مؤسسات السلطة والدولة . وتدار بتعليمات مختلطة بين تعليمات حزبية او بتعليمات قانونية.

ع . الاستبداد الاجتماعي : يتمثل في سطوة العشيرة ورجل الدين . مما يسبب اختلاط التشريع القانوني بالشريعة , حيث تسود الاعراف والحلال والحرام والمنكر والمعروف.

و . الاستبداد السياسي : الدكتاتوريات الحاكمة والتي تتفرعن في ممارساتها وتتعملق على حساب القانون , وعادة ما تعلوا ممارسات الواجبات المتعددة على المواطنين دون مكاسب حقوقية لهم.

ز . الاستبداد الاقتصادي : اكثر من قارون في ظل الاقتصاديات الريعية العائلية . ذات النشاط المحنط من حيث حركة المجتمع والابداهات التنافسية في نوعية الانتاج وفن الترويج والتسويق.مما يخلق تفاوت طبقي هائل بين شرائح المجتمع بين طبقات الفقراء والاغنياء.

جميع هذه الاستبدادات وغيرها تؤدي الى مظاهر التعصب ومنها : التعصب الحزبي , والقومي ,والطائفي , والعنصري, والغلو في تضخيم الذات والتعصب النرجسي وعلو الانا . التمادي في التعصب بانواعه هي ممارسات في الانحراف السلوكي بانواعه المتعددة واهمها:انحراف اخلاقي , انحراف فكري, انحراف عاطفي , انحراف نفسي , انحراف روحي . جميعها تمثل شيوع الانحرافات المجتمعية السائدة في معظم بلداننا.

رابعا : الوعي والسلوك في الشخصية:

كل سلوك يقترن بطبيعة الوعي الذي تمتلكه الشخصية . فالوعي بانواعه هوركيزة من ركائز العلوم الاجتماعية التي تهتم وتسعى بصناعة وعي ناضج يحدد ملامح عقلنة الوعي الجمعي لعموم المجتمع.

والوعي كخاصية إنسانية هو تلك المعرفة التي تكون لكل شخص بصدد وجوده وأفعاله وأفكاره فأن الشخص الواعي ,يتصرف طبقا للمعرفة التي تحركه وما اكتسب من بيئته. وهذه الازدواجية هي التي تميز الإنسان .
تختلف مدلولات الوعي من مجال إلى آخر، ومن مفهوم الى آخر. ويمكن أن نجمل الدلالة العامة للوعي فيما يلي ((12)) :
إنه ممارسة نشاط معين (فكري، تخيلي، عملي)، وإدراك تلك الممارسة. و يمكن تصنيف الوعي إلى أربعة أصناف وهي:

1) الوعي العفوي: إنه ذلك النوع من الوعي الذي يكون أساس قيامنا بنشاط معين، دون أن يتطلب منا مجهودا ذهنيا كبيرا، بحيث لا يمنعنا من مزاولة أي نشاط آخر.

2) الوعي التأملي: إنه وعي يتطلب حضورا ذهنيا قويا مرتكزا في ذلك على قدرات عقلية كلية كالذكاء أو الإدراك أو الذاكرة.

3) الوعي الحدسي: وهو الوعي المباشر و الفجائي الذي يجعلنا ندرك الأشياء أو العلاقات، أو المعرفة، دون أن نكون قادرين على الإدلاء بدليل أو استدلال.

4) الوعي الأخلاقي: وهو الذي يسمح لنا بإصدار أحكام قيمة على الأشياء والسلوكيات بحيث نرفضهما أو نقبلهما بناءا على قناعات أخلاقية، وغالبا ما يرتبط هذا الوعي بمدى شعورنا بالمسؤولية اتجاه أنفسنا و اتجاه الآخرين.وقوة الارادة والوعي عادة ماتتسم بقوة الشخصية وكلاهما يعتمد على القوة الذهنية في اساليب القوة الفكرية. دائما الشخصية القوية , شخصية مفكرة وتمتلك مسقا متكاملا فن منهجية التفكير.
وفي العموم لايمكن ان نتفق على صيغة لتعريف الوعي ,وكل وعي مالم يتم التحقق منه يعتبر وعيا زائفا , ومع ذلك يكون الناس فرحين وسعداء بوعيهم المخدوعين فيه , وهم في حجاب الذات بوعيها عن ذاتها . وبهذا تتكون القناعات والعواطف واخلاق المجتمعات وثقافاتها عن بعضها.وهي مايتكون منذ النشاءة وتصبح ثقافة النشاءة كبيئة, معجونة في الوعي الناتج عن تلكم البيئة.وتصبح ماتمتلكه من وعي هي قناعات راسخة يصعب تقبل غيرها . وهو ما يؤسس لانغلاقات مجتمعية تقترب من الاستبدادات الفكرية والاجتماعية والرمزية في تاسيس مفاهيمها الاجتماعية . ويكون للاشخاص فيها عصبة القبلية ذات الوعي العاطفي الذي سرعان ما يتحول الى عواطف ذات وعي شرس حال الاقتراب من نقد ماتحمله من معتقدات تشكل حواضن وعيها السائد.

الفصل الثامن

الجغرافيا البشرية

ويلٌ لامةٍ كلُ قبيلة فيها امة !

جبران خليل جبران

تتغير نظرة الناس للامكنة مع الوقت، فتختفي بعضها وتظهر اخرى حسب الحاجات والثقافات الوليدة واذواق الناس. مثلا: كانت مساكن الحيطان في العراق في أزمنة معينة عالية وفخمة على شكل أسوار تحفظ العائلي والحميمي وتظهر في الوقت نفسه الموقع الاجتماعي، لكن هذه الحيطان في أحياء سكنية أخرى ـ كالمنصور مثلا ـ ليست على هذه الدرجة من الفخامة والعلو مادامت القوة ا تعبر عن نفسها في الموقع والمنصب والوظائف السياسية والاجتماعية او الثقافية. " العلو" هنا قوة اقتصادية لا تعبر عن نفسها في ارتفاع الجدران بل في ارتفاع" جدران" أخرى أكثر قوة وسماكة وفخامة وهي قوة السلطة على تنوع أشكالها. كما ان اشكال الحدائق تتغير هي الاخرى بتغير الأذواق والمعتقدات و بتغير المعتقدات يتغير شكل الحديقة. المنزل لا يعكس نفسه ولكنه يعكس العالم الخاص والسري **لساكنيه ونظرتهم الى الحياة وموقعهم منها.اليوم حين ننظر الى الحدائق المنزلية نرى هناك رغبة واضحة في ان تكون بارزة للمارة من الخارج أكثر مما كانت في أزمنة أخرى خلف المنزل ومحاطة بمناخ رومانسي جميل.**

ليس ممكنا البحث في تنوع الجغرافيا البشرية مالم نعلم المدخل وجوهر الناس , البشر, التجمعات الاسرية , والطبقات الاجتماعية , مكانها بيئتها واهم عناصرها هم جميعهم يشكلون السكان او المجتمع او الشعب بكل معتقداته وثقافاته المكانية .

الجغرافيا الاخلاقية والسلوك البشري

1. **البشر وعلاقتة بالامكنة علاقة مختلفة .**
2. **البشر اي السكان وحياته أقدم من العلوم.**
3. **تم توطين الدراسات السكانية وبشكل متكرر في أقسام علم الاجتماع .**

الجغرافيا وتاثيرها على السلوك:

من المهم ان نعلم حجم السكان وبنيته وتوزيعه الجغرافي وكثافته ونسبة نموه . اضافة لمعرفة التحول والتغير الديموجرافي. وعلى الرغم من ان علم اجتماع السكان يعد علما حديث النشأة بمقارنته بالديموجرافيا, والدراسات السكانية الاخرى, اقتصادية وجغرافية. الا انه مازال لم يلق اهتمامات بحثية تعمق العلاقات السكانية بثقافاتها وبيئاتها وبايولوجياتها من المكتسب الموروث ومدى تاثيرها الفعال على السلو السوي والغير السوي . ومعرفة الاسباب من منظور علم النفس الاجتماعي وعلم النفس البايولوجي على وجه التحديد. لكي تتطور وتسمو نتائج البحوث لغرض تقديم دراسات معمقة في مجالات البايولوجيا المجتمعية وتاثرا الجينيوم البشري على النسيج المجتمعي والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية بمختلف متضاداتها الطائفية والقبلية والمكانية.

تعتبر جغرافية السكان عن الديموغرافيا بأنها تهتم بالاختلافات المكانية في توزيع الظاهرات السكانية وتركز على مدى تأثير الخصائص المكانية الأخرى في توزيع هذه الظاهرات السكانية وفوق هذا وذاك لايمكن أن نفترض وجود حدود . وتفسير أنماط توزيعها وسلوكها المكاني صارمة بين فروع العلم ومجالات المعرفة وخاصة بين الديموغرافيا والدراسات السكانية من جهة . وبناء عليه فإن الدراسات السكانية بوصفها فرعاً من فروع العلم والمعرفة هي الدراسات التي يتم فيها إدخال متغيرات غير ديموغرافية في التحليل ، سواء كانت متغيرات تابعة أو مستقلة . ففي بعض الأحيان تتم الإفادة من بعض المتغيرات غير الديموغرافية . وتعد جغرافية السكان اقرب إلى الدراسات السكانية منها إلى الديموغرافيا ولكن جرافية السكان تركز على التباين المكاني والعلاقات المكانية في دراسات الظاهرات السكانية وبذلك تدخل جغرافية السكان ضمن دائرة الدراسات السكانية . من جهة أخرى يهتم علم اجتماع السكان بفهم الظاهرات السكانية في ضوء البناء الاجتماعي للمجتمع وذلك من خلال الربط بين النظرية الاجتماعية والتركيب الهيكلي للمجتمع المتمثل في السكان . أما عن دور المعرفة السكانية بشكل عام وجغرافية السكان بشكل خاص في التخطيط الشامل ونحوه فيمكن إيجازه فيما يلي:

أولاً : بما أن التخطيط يبدأ بالإنسان وينتهي به وأن التخطيط يهدف بشكل أساسي إلى تنمية الإنسان ورفع مستوى معيشته فإنه لابد من معرفة خصائص هذا الإنسان وتوزيعه الجغرافي قبل البدء في وضع الخطط المتعلقة به وبتحسين مستوى معيشته أو حل مشكلاته.

ثانياً : إلى جانب التخطيط تحظى المسائل السكانية بأهمية كبيرة لدى الكثير من العلماء والمسؤولين والناس على حد سواء لارتباطها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ثالثاً : ما من شك أن عدد السكان وطبيعة تركيبهم وسماتهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية من العوامل المهمة التي تشكل القوة السياسية للدولة.

رابعاً : تعتبر المعرفة السكانية خلفية أساسية لكثير من فروع المعرفة كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد

خامساً : تحتل المعرفة السكانية أهمية كبيرة لدى رجال الأعمال والمستثمرين فنجاح كثير من الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية يعتمد بدرجة كبيرة على دقة البيانات السكانية ومدى الاهتمام بها

مجالات البايولوجيا المجتمعية وتاثرا الجينيوم البشري على النسيج المجتمعي والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية بمختلف متضاداتها الطائفية والقبلية والمكانية.

تعتبر جغرافية السكان عن الديموغرافيا بأنها تهتم بالاختلافات المكانية في توزيع الظاهرات السكانية وتركز على مدى تأثير الخصائص المكانية الأخرى في توزيع هذه الظاهرات السكانية وتفسير أنماط توزيعها وسلوكها المكاني . وفوق هذا وذاك لايمكن أن نفترض وجود حدود صارمة بين فروع العلم ومجالات المعرفة وخاصة بين الديموغرافيا والدراسات السكانية من جهة . وبناء عليه فإن الدراسات السكانية بوصفها فرعاً من فروع العلم والمعرفة هي الدراسات التي يتم فيها إدخال متغيرات غير ديموغرافية في التحليل ، سواء كانت متغيرات تابعة أو مستقلة . ففي بعض الأحيان تتم الإفادة من بعض المتغيرات غير الديموغرافية . وتعد جغرافية السكان اقرب إلى الدراسات السكانية منها إلى الديموغرافيا ولكن جرافية السكان تركز على التباين المكاني والعلاقات المكانية في دراسات الظاهرات السكانية وبذلك تدخل جغرافية السكان ضمن دائرة الدراسات السكانية . من جهة أخرى يهتم علم اجتماع السكان بفهم الظاهرات السكانية في ضوء البناء الاجتماعي للمجتمع وذلك من خلال الربط بين النظرية الاجتماعية والتركيب الهيكلي للمجتمع المتمثل في السكان . أما عن دور المعرفة السكانية بشكل عام وجغرافية السكان بشكل خاص في التخطيط الشامل ونحوه فيمكن إيجازه فيما يلي:

أولاً : بما أن التخطيط يبدأ بالإنسان وينتهي به وأن التخطيط يهدف بشكل أساسي إلى تنمية الإنسان ورفع مستوى معيشته فإنه لابد من معرفة خصائص هذا الإنسان وتوزيعه الجغرافي قبل البدء في وضع الخطط المتعلقة به وبتحسين مستوى معيشته أو حل مشكلاته.

ثانياً : إلى جانب التخطيط تحظى المسائل السكانية بأهمية كبيرة لدى الكثير من العلماء والمسئولين والناس على حد سواء لارتباطها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ثالثاً : ما من شك أن عدد السكان وطبيعة تركيبهم وسماتهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية من العوامل المهمة التي تشكل القوة السياسية للدولة.

رابعاً : تعتبر المعرفة السكانية خلفية أساسية لكثير من فروع المعرفة كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد
خامساً : تحتل المعرفة السكانية أهمية كبيرة لدى رجال الأعمال والمستثمرين فنجاح كثير من الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية يعتمد بدرجة كبيرة على دقة البيانات السكانية ومدى الاهتمام بها.
سادساً : لايمكن تجاهل أهمية البعد الديمقرافي في كثير من مجالات الحياة والمشكلات السياسية والصراعات الدولية على وجه الخصوص . فكثير من الصراعات لها جوانب سكانية مهمة كالقضية العربية الإسرائيلية وغيرها من الصراعات الإقليمية وهذا يجعل المعرفة السكانية ذو ابعادا مهمة.

اهم العوامل المؤثرة:

لاشك أن توزيع السكان يتأثر بمجموعة كبيرة من العوامل المختلفة ويمكن إبراز العوامل المفسرة لتوزيع السكان على سطح الكرة الأرضية بشكل عام فيما يلي :

1. 1 الموقع الجغرافي:

الموقع الجغرافي للمكان أو المنطقة أو الدولة يؤثر على الكثافة السكانية لذا يمكن من خلال فحص خارطة تفصيلية عن توزيع السكان في العالم التوصل إلى ملاحظة أن معظم سكان الارض يعيشون في مناطق لاتبتعد كثيراً فيما بينها بقربها او بعدها عن الانهر او البحار.

2. مظاهر التضاريس :

أن تباين التضاريس على سطح الامكنة من حيث الارتفاع والانخفاض أو من حيث اختلاف أنواعها من مرتفعات وجبال وسهول وأنهار ترتبط أرتباطاً قوياً بالتباين في توزيع السكان .وبناء عليه فإن الجبال تعتبر من مناطق الكثافة المنخفضة جداً وذلك لوعورتها وصعوبة التنقل فيها.

3. المناخ:

يعد المناخ من اكثر العوامل تاثيراً في توزيع السكان سواء بشكل مباشر من خلال عناصر المناخ والتساقط ويمكن تصنيف المناخ إلى قسمين:

أ- المناخ البارد :

لايوجد في المناطق المتجمدة في الأجزاء الشمالية والجنوبية من الكرة الارضية في هذه المناطق فالإنسان يصبح أكثر عرضة لأمراض الجهاز التنفسي كما أن هذه المناطق تتميز بفصل نمو نباتي قصير لايتيح المجال لزراعة محاصيل متعددة

ب- المناخ الحار الجاف :

على الرغم من أن الصحاري تغطي خمس مساحة اليابسة إلا أن سكانها لايمثلون إلا نسبة صغيرة جداً من سكان الكرة الأرضية .عدم توفر المياه أو ندرتها تحول دون ممارسة الزراعة التي يمكن أن يكون نموها سريعاً .

ج - المناخ الحار الرطب:

لااتعتبر المناطق الحارة المطيرة المكان الأمثل لسكنى الإنسان مع بعض الإستثناءات مثل مناطق جنوب شرق آسيا وبعض مناطق تركز السكان في أمريكا اللاتينية . ومن الجوانب السلبية لهذا النوع من المناخ سرعة تكاثر الحشرات والنباتات الضارة

د- المناخ المعتدل والمعتدل البارد :

تعد المناطق ذات المناخ المعتدل من أكثر عناصر الحياة وخاصة المياه وعدم تطرف درجات الحرارة وان معظم السكان يعيشون بين درجتي عرض 20 و 60 شمالاً حيث تقع هذا النطاق الأقاليم المعتدلة والموسمي التي تعتبر أكثر المناطق ملاءمة لسكنى الإنسان

4. التربة:

على الرغم من أن التربة تعد المصنع الطبيعي لغذاء الإنسان إلا انه ليس من السهل الربط بين توزيع السكان وأنواع التربة وتركز السكان في بعض المناطق خاصة عندما تكون الزراعة هي النشاط الاقتصادي السائد فالتربة الطموية في دلتاوات الأنهار في مناطق شرق آسيا وفي دلتا النيل وكذلك التربة البركانية في جاوة لها دور كبير في ارتفاع الكثافة السكانية

5. الثروات المعدنية ومصادر الطاقة:

لاشك أن الثروات الطبيعية تلعب دوراً كبيراً في جذب السكان بل وإعادة توزيع السكان عند أكتشافها واستغلالها في مناطق معينة . وتزايد الحاجة إلى المعادن ومصادر الطاقة كالفحم والحديد .أدى ذلك إلى تركز السكان بجوار أماكن توافر هذه المواد

6. النشاط الاقتصادي :

يلعب النشاط الاقتصادي دوراً هاماً في نمط توزيع السكان . تسهم الصناعة في وجود كثافة سكانية مرتفعة مقارنة بالأنشطة الزراعية بشكل عام وينبغي الإشارة إلى أن النشاط الاقتصادي السائد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوامل المذكورة أنفاً ويؤثر بالاشتراك معها في توزيع السكان وبناء على ماسبق يتضح تأثير الصناعة وتركزها في المدن

7 .النقل والمواصلات :

لقد أسهمت طرق النقل وخطوط السكك الحديدية بدورها في نشأة بعض المراكز العمرانية وازدياد الكثافة السكانية في بعض الأماكن .كما أسهم النقل البحري في نشأة الموانئ وتركز السكان في المناطق المجاورة لها . لذلك يلاحظ انتعاش ونمو بعض المراكز العمرانية التي تقع على خطوط النقل وانكماش تلك التي تقع بعيداً عن الطرق وخطوط النقل

8. التنمية الاقتصادية ونسبة النمو:

يرتبط هذا العامل أرتباطاً وثيقاً بالعوامل الثلاثة السابقة (المعادن ومصادر الطاقة والنشاط

الاقتصادي والنقل) إذ تلعب استراتيجيات التنمية وأهدافها دوراً كبيراً في توزيع السكان ونمو أعدادهم دوراً كبيراً في توزيع السكان ونمو أعدادهم .فالهجرة آلية مهمة من خلالها يتم إعادة توزيع السكان وذلك بتأثير الحوافز والدوافع المتمثلة في توفر فرص العمل والخدمات الأساسية

9. العوامل التاريخية والصراعات:

بما تفسر العوامل التاريخية انماط توزيع السكان في بعض المناطق فعلى سبيل المثال لا أحد ينكر البصمات التي تركها الاستعمار على توزيع السكان في قارة أفريقيا كما ان هناك تغير كثير من الحدود في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية أحدث تحركات سكانية كبيرة وأخيراً أدى تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وما اعقبه من حروب في البوسنة والهرسك وكوسوفا إلى تهجير إجباري وتحركات سكانية كبيرة . أسهمت في تغيير الخارطة السكانية لتلك المناطق

10. زيادة السكان والسياسات المتخذة:

تؤثر العوامل الديموغرافية المتثملة في المواليد والوفيات أو الزيادة الطبيعية على نمو السكان ومن ثم زيادة تركز السكان أو انخفاض الكثافة وتبعثر إعداد السكان فالتباين في معدلات المواليد بين المناطق الجغرافي ة يؤدي خلال فترة من الزمن إلى تغير في توزيع السكان نتيجة تزايد أعداد السكان أو تناقصهم في تلك المناطق . كذلك فإن التقدم التقني الهائل الذي حققه الإنسان خلال القرن العشرين مكن الإنسان وخاصة في الأقاليم المتقدمة من العيش في أي مكان بصرف النظر عن الظروف الصعبة.والتي تحتاج لتوضح بما يؤسس لمعرفة مضامين علوم الاجتماع بطريقة بحثية متجانسة الترابط المعلوماتي نوضح الاتي:

السياسات السكانية:

ماهي السياسة السكانية : هي مجموعة الإجراءات الظاهرة أو الضمنية التي تتخذ في الغالب من قبل الحكومات للتأثير على حجم السكان أو معدلات نموهم أو توزيعهم أو تركيبهم الديموغرافي . كما تعرف السياسية السكانية من قبل بعضهم على أنها مجموعة من الإجراءات المؤثرة على العمليات الديموغرافية وبخاصة الزيادة الطبيعية والهجرة.

لم تكن محاولات التأثير على المتغيرات السكانية وليدة العصر الحديث بل تشير بعض المصادر إلى أن الناس في بعض دويلات المدن في اليونان وبخاصة في اسبرطة يعمدون إلى ترك المواليد تحت ظروف صعبة لكي لايبقى منهم إلا الاصلب عوداً والأقوى بدناً . وعلى اية حال فإن الإنسان بطبعه شغوف بالنظر إلى المستقبل للتعرف على ماذا يخفيه من أحداث ومفاجآت لذلك حاول الإنسان منذ القدم اخذ الحيطة والحذر في محاولة لتغيير مجريات الأمور لصالحه

العوامل المؤثرة في نمط السياسة السكانية
هناك العديد من العوامل التي تؤثر على نوع السياسة السكانية التي تتخذها الدولة ومن أهمها :

1.العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية:

يتأثر نوع السياسة السكانية بالحياة الاجتماعية والدينية ويأتي الدين في مقدمة هذه العوامل فالبلدان التي يلعب الدين فيها دوراً مؤثراً في حياة الأفراد غالباً ما تتبع سياسة سكانية ترفض الحد من النسل ولكنها قد تقبل خيارات أخرى تتعلق بتنظيم الأسرة .

2. العوامل الاقتصادية:

يؤثر المستوى الاقتصادي وأنماط الإنتاج في الدولة على نوع السياسة السكانية المتبعة وتقوم الدولة باتباع السياسة السكانية التي تناسب وتنسجم مع إمكاناتها وثرواتها الطبيعية . وهذه الظروف الاقتصادية تعكس على الحاجة إلى اليد العاملة ومن ثم تؤثر على سياسات الهجرة والنمو السكاني.

3.العوامل السياسية :

تسعى الدول الصغيرة إلى زيادة عدد سكانها وبخاصة تلك المهددة من قبل دولة أو دول مجاورة ذات حجم سكاني كبير .ويشهد التاريخ بنماذج كثيرة لتأثير الجوانب القومية على

السياسات السكانية في فترات مختلفة.

التاطير البشري في ظل فايروس كورونا 19 :

ماور اعلاة من عوامل وتاثيرات يمكن ان يؤدلج بما يراد منه ان تحرك الجمهور بما يخدم الاغراض والضجة الاعلامية على مستوى العالم بغض النظر عن ما ماطرح من عوامل جوهرية في معطيات التناغم البشري مع الجغرافية او المكان البيئي . الاعلام يمكن ان يؤطر السكان نوضح الاتي:

الضجة والتهويل الاعلامي المكثف وعلى مدار الساعة . والاعلان عن اصابات رؤساء الدول مثل بريطانيا والامير.واصابة بوتن وترامب ونتنياهو وغيرهم . اضافة للاحصاءات في عدد المصابين مع عدد الموتى الذي لايتناسب مع مرتفعي درجات الحرارة المصنفين باحتمال الكورونا بنسبة تتراوح بين 8 الى 10%. يمكن تفسير ذلك ان هذا التاطير هو بعضا من المستهدف هو:

1.التاطير يعني تحجيم السكان وتحديد امكنة التواجد وعدم الاختلاط .

2.تخويف وبعث الرعب والشعور بالاستهداف من استمراره بالحياة بسبب الاصابة بفايروس مُعدي

3.ضجة عدم توفر المستلزمات الطبية الوقائية والعلاجية وشحة سعة واستيعاب المستشفيات للجمهور. اشغال الجمهور بقلق احادي هو كثافة الاخبار عن شي واحد هو فايروس كورونا 19 المتطور جينيا عن كورونا 18.اضافة الى

4. االفرد او العائلة من الكارثة التي لاتفكر الا بالنجاة كمكسب للعيش لاترغب الا في النجاة والعيش من هذا الفايروس القاتل.

الفصل التاسع

تاميم الاخلاق

أفضل من يُدافع عنك في غيابك هي أخلاقك !

هناك خلط شائع بأن الأخلاق هي شكل من أشكال السيطرة الاجتماعية. من الواضح أن هناك أشكال من الرقابة الاجتماعية, لا تنطوي على الأخلاق من التعاليم أو النوايا الأخلاقية. لكن الأخلاق تنطوي على أكثر من مجرد سيطرة اجتماعية ، وقد يقال إن للناس التزامات أخلاقية حتى عندما ينحرف سلوكهم عنهم تمامًا .
لايوجد سلوك اخلاقي موحد للاخلاق . فاخلاق الامكنة كل له ثقافته الخاصة به وهذا يعني ان الاخلاق بين اخلاق الجبال والسهول والبوادي واخلاق المدن والعواصم . كما تتفاوت اخلاقيات البيئة الريفية الزراعية او الاهوار وغيرها من تعدد الاخلاقيات التي سنوضحها لاحقا .

تزامن الجغرافيا الثقافية مع الجغرافيا الاخلاقية وكلاهما تعني الاخلاق البشرية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالهوية التي تعني كقوة الاخلاقية للامكنة بغض النظر عن الشوائب التي مازالت عالقة بها.كما المكان المقدس هنالك مكان لجغرافيا الاخلاق .فيه القيم المتعارف عليها كالاخاء والوفاء والكرم والشهامة والنخوة وماشابه ذلك.

صراع الهويات والانتماءات من اصعب الصراعات التي عاشتها المنطقة ومن ضمنها العراق . واكثرها تعقيدا هي عندما تكون الهوية امامنا لنتصارع بها وليس خلفنا للدفاع عنها او في داخلنا لحمايتها . لانها ستكون الضحية التي نحارب بها كاداة من ادواة الصراعات في الامكنة.وهذا يحتاج الى معجزة للنجاة منه. فاما هويات مقتولة او هويات قاتلة تتبادل الادوار فيما بينها الى اجل طويل .

المكان والامكنة جغرافيا لها اخلاقياتها في العراق ندرج مايمكن ان تكون كما في ازقتها ومناطقها في ساحات السكان بكل تنوعاتها العقائدية والسياسية وتبعياتها الولائية .و الشعارات كانت ورطة امام الواقع المختلف تماما . ثبت انها شعارات استعلائية في ترساناتها الغير قابلة للتطبيق .

الواجب الاخلاقي هو مايجعل البشر سعداء حقيقيون بازدهار ورفاهية بموضوعية العيش وفقا للفضائل الاخلاقية بالعدالة والمساوات ضمن الطبيعة البشرية .ويبقى الضمير

الانساني الحي يمثل الخُلق المناطقي وثقافاته المكانية في كل جغرافيات واثنيات المعتقدات اي كانت انتمائاتها رغم فقدان معظم الاديان لكلمة الضمير في ادبياتها لحداثته لغويا

الاخلاق المؤدلجة:

المنتفعون والمصلحيون لايميزون الخطأ والصواب الا من خلال مصالحهم الذاتية وهي انكار للمبادئ الاخلاقية العامة. وهو تفسير لمايسمى بمكونات الاحزاب الحاكمة في غنائم المحاصصة المافوية وتوزيع موارد العامة وارزاقهم الى غنائم لاحزاب السلطة في العراق بامكنته المتنوعة.والتي لاتصنف ضمن الاخلاق بمفهومها المتعارف عليه. حيث تسود مذاهب المتعة الدنيوية عن مثالية القيم. لانستبعد الانانية الاخلاقية بمساعدة الاخرين , ولن يساعد الانانيون الاخرين الا اذا كان ذلك يعزز سوق الانانية الاخلاقية من اجل المصالح والمزايا الشخصية والفئوية, وهي في الحقيقة ليست ضمن مفهوم الاخلاق التي كما نفهمها هي نظام التفكير العملي للعامة وليس للخاصة الانانية.

اخلاق الفحولة:

جميع النظريات الشائعة هي النظريات الاخلاقية المستفحلة تظهر تحيزها للذكور. وتنتقد النسويات الطبيعية الفردية دون تعميمها لنسوية بل لتكون جزئية نسوية كالمشاعر والحب والتعاطب الذكوري كعلاقات رعاية. لذلك تستخدم كوسيلة لا اخلاقية في المجتمعات البدائية المكانية لاستخدامها كقاصر تحتاج لاخلاق ترعاها اخلاقيات الفحولة اكثر مما هي اخلاق الذكورية بمفهومها الانساني وليس ببعيد الانتهاكات الاخلاقية المكانية البدائية الثقافية للحريم . كوصف ولزواج الكصة بكصة او المسيار والاكثر من زوجة في اقتحام للتاويل الذكوري البعيد عن انسانية النص الديني لانقاذ الارامل واليتامى اخلاقيا .وتفضل القرابة والعائلة والعشيرة في الانتفاع كمكسب من مكاسب الاعراف البعيده عن اعراف حق الانسانة ضمن النسوة في العيش دون نفوذ الذكورية في حسم المور مثال ابن العم لبنت العم. وما ابتزازات الانهيارات التي حصل في المجتمع العراقي والدولة عموما . هو شيوع حق يقابلها ابتزاز لا اخلاقي (المتعة او الزواج العرفي مقابل تمشية حاجاتك ضمن منظومة اللا اخلاق الذكورية) التي يشرعنها المسيس دينيا.والذي شاعت بين صاحبة المنفعة المعيشية وبين المسؤول او السمسير المرتشي لمنافعه الانانية. وهي سمات اشبه بالتعاقدية المتعارف عليها في البؤر المنحطة خلقيا والتي تعتاش على الغريزة الاخلاقية الخالية من اي احساس انساني بل غريزة بلا قيم الا قيم افتراس الاخلاق كغنيمة .

اخلاق الافتراء المقدس:

يدعي الكثير ان هنالك صلة لابد منها بين الاخلاق والدين , اي لا يوجد اخلاق بدون دين ولا دين بدون اخلاق. بمعنى اخر لايوجد سلوك صحيح او خطأ.رغم وجود دعوات ذات صلة بان الدين ضروري لتحفيز وتوجيه الناس على التصرف بطريقة حسنة من الناحية الاخلاقية. اي تنفيذ ما امرنا الله به وهي طاعته الصحيحة دائما رغم التأويلات المذهبية التي كانت ومازالت تخدم المنتفع من يدعي انه رجل دين وهي حلقة زائدة بين العبد وربه. لانها تسيست لتكون بين السلطان الجائر ووسيطه الدنيوي في الحكم. كما وصفهم د علي الوردي بوعاظ السلاطين ليتجرد عامة الناس عن الاخلاق العامة .الى اخلاقيات تعسفية قسرية لطاعة الحاكم او ولي الامر. وما يتم طرحه ان لاحل الا بالاسلام ولان لا يوجد اسلام بلا مذاهب وطوائف واحزاب سياسية متعددة باسلامياتها . اذن لاحل الا بالاسلام قد سقطت امام الواقع المعاش والمختلف تماما عن الشعارات. اضافة الى ان مصالح الحاكم في تأويل التفسير لتصبح فتوى سياسية تخدم الحاكم اولا وتقود الناس الى طاعته. ودائما ماتُسخر الفتاوي للطاعات وتتغاضى عن حقوق العامة.

اخلاق الفتاوي السياسية:

جميع الاغتيالات في التاريخ الديني هي فتاوي سياسية او دوافعها السلطة والحكم وهي دنيوية بامتياز.ابتداء من قتل عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب انتهاء بالحسين بن علي رض الله عنهم اجمعين , واخرين لامجال لذكرهم . التوريث في الاسلام والابتعاد عن الشورى هي فتاوي سياسية .

زيارة انور السادات لاسرائيل عام 1978 افتت حينها دار الافتاء المصري بان الزيارة تتفق مع الشريعة الاسلامية , والصلح مع اسرائيل جائز. وتم تبريرها بصلح الحديبية بين اليهود والرسول ص. لكن الاخوان المسلمين كفرت السادات واباحث دمه وقتل عام 1981 تنفيذا للفتوى. والاخوان ايضا اعتبروا التظاهرات بزمن حسني مبارك جهادا . وفي زمن حكم الاخوان في مصر بزمن مرسي حرموا المظاهرات ووصفوها بالبغي والخروج عن الملة. وفتوى محسن الحكيم في الشيوعية كفر والحاد هي فتوى سياسية.حتى التقية وتجنب الاذى نوع من تقبل الضيم والاذى, وان اختلفت طبيعتها من موقف لاخر.القتل السياسي فتوى قتل المتظاهرين بساحات التحرير واختطاف الناشطين والقناصين ماهي الا فتاوي سياسية بامتياز. حتى التسميات بالمرتد والكافر والعميل والمفسد والجوكر هي فتاوي سياسية دينية.من منطلق مانطيها مبدا نفي الاخر وافتراسه بطريقة وحشية كما يحدث للمتظاهرين الذين لايريدونها بل يريدون وطن بدونهم , وممكن ان يحتوي الجميع.

النهب من المال العام بفتوى اعتمدت على حديث متداول وهي " ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع" اي حد قطع اليد لايشمله لانه ليس بسارق بل هو مختلس للمال العام وليس سرقتة . ياخذ المال نهبا او اختلاسا ! لانهم يؤمنون ان بيت المال فيه حصة لكل فرد اي لكل مسلم, مشاع لمن ينهب ويختلس منه فلاقطع اليد ينطبق عليه.

الاخلاق المغلقة :

اصحاب السلوكيات الثابتة زمنا ومكانا.الاخلاق المغلقة هم من يعيشون زمنهم الاحادي والملتبس برفضه للتعددية والاخرين هم من لايتجاوزن امكنتهم وازمنتهم التي اصبحت لديهم حدود الواقع والمخيال المركب مع بعضه, اصحاب الوعي المشوه الاسير للافكار البالية والخرافية. هؤلاء عبارة عن مجاميع تلتقي بسلوكها الاخلاقي كتبعيات لاخرى.وهذه يمكن تصنيفها بالاخلاق المتعالية وتعتقد ان مفاهيمها الاخلاقية اهم من الانسان.

اخلاق العاهة النفسية:

هي انماط سلوكية في الحيز المكاني عندما يفقد البشر ضمانات الشفاء ليس ضمن مؤسسات صحية حسب التي لاتشقي مراجعيها لكن الاهم هي الرقابة القانونية المنضبطة .بل المستشفي من المفاهيم تحزبت الى امكنة ضمن تجارة المحاصصة. اضافة لفكر المتاهة الخائفة من سلطة السلاح العشائري والحزبي والمقترن بحكام لايجيدون سوى بهرجة المكاتب وتوزيع سلطات النهب فيما بينها كاخلاقيات عامة في الجغرافية وامكنتها في المتاهات الغير شافية في مشافي المجتمع المكاني.انها اخلاقيات زمن اللامسؤول واللاجواب .

اخلاق العلن والسر:

كل انسان يخلق هويته في المكان المتصارع فيه وعليه ومن اجله. الصيت والجاه بدل الثقافة والعلم . السمعة بدل السيرة الحسنة . اخلاق العلن على المنابر الاعلامية شئ مختلف تماما يصنف بالسلوك الاخلاقي المداهن والمنافق , وهو السائد والملموس الان . تتغير الاخلاق اينما يستمع لك الجمهور او خارج الجمهرة مدح وذم . توسل بذل . وذئب مفترس عندما تتطلب المصالح ذلك . هي نتاجات الظلم والارهاب السلطوي المنتج للخوف داخل الاسرة وجدران الغرف . كذلك للاقتراب والتودد من المسؤول لتحقيق مصالح دنيئة.

اخلاق المجتمع المخدر او المسطور:

يمكن وصف المجتمع المبنج وجرعات البنج تعتمد كثيرا على مكان وطبيعة الجغرافية التي يعيشها. طقوس وروايات وبطولات المخيال الشعبوي الديني .وهو افضل تخدير يستانس به المجتمع العامي ويسرح خارج واقعه المرير . لايصحوا الا الا من خلال الوعي والنقد والصدمة فيما هو عليه من سراب الخيال, ليعيش مقارنات حقيقية مع الاخرين الاصحاء.روايات ونقلا عن العنعنة كفيلة لتقود السذج الى قطيع يقاد اينما يراد به.

اخلاق تشيئة وتصغير الرموز:

مهما بلغ الفرد في المجتمع من علو راقي في كونه رمزا بارزا في تضحياته ومنحه شهادات واوسمة تكريم بطولية كانت او علمية او رياضية . هذا المفهوم الرمزي الذي يفتخر به مجتمعه ووطنه . سرعان مايصبح شيئا منسيا تتعامل معه السلطة كانه شئ من الاشياء او معاملة من معاملات ورقية في شهادات الوفاة بعد التخلص منه لاسباب تخص امن السلطة حتى لو كان متهما وتثبت برائته بعد حين. تشيئة الانسان والرمز والمضحي والثائر الى تداول ورقي لنقله من الطب العدلي الى مثواه بورقة تبين اسباب الموت الكاذبة ككائن او شئ قد مات واصبح شيئا منسيا .

هذه الاخلاقيات التي تعمقت مابعد 2003 في تحول كبير في القيم الاخلاقية بعد ان استخدمت كسلاح طائفي عندما فقد الدين مكانته فتحول الى طوائف ومذاهب يرعاها من يستحق الرعي بدلا من ان يكون راعيا

خُلُق اللا اخلاق:

اخلاق اللامبالاة , اخلاق العامة المنتفعة التي تشعر بانها خارج تربية المجتمع ومسؤولياته التضامنية مع الاخرين . مجاميع : اني يصير عمي, كل لشة معلكة من كراعينها. احنا ماتصير لنا حل ولاچارة. هؤلاء متفرجون على المصائب ان وقعت عليهم , يتروؤن من المسؤولية ويهربون كالجرذان في زوايا مهملة خائفة . لايحملون اي قيمة بالمجتمع يستفادون من فضلات الاخرين خلسة. عندهم الحلال والحرام لايختلفان عندما تتطلب مصالحهم ذلك. انهم ارقام غير فاعلة تتفرج وعندما تحين الغنيمة فهم لها تفترس كالضباع فريستها. هذه هي اخلاق الجمع والقطيع عندما تفقد قيمها الانسانية. هذه شرائح الفضيحة المسكوت عنها تربويا وتأهيليا ودينيا .واحيانا كثيرة تغتنم فرصتها لتكون ضمن مجاميع الساسة ورثاثتها.شعلية, الياخذ امي يصير عمي

الاخلاق الرثة :

يمكننا ان نميز افرازات المراحل التي مر بها العراق اجتماعيا وسياسيا وثقافيا من مكان الى مكان , من خفرافية الى اخرى . ومن سلوك مكاني مختلف عن سلوك مكاني اخر. حيث اصبحت المكاسب المشرعنه من رذائل منتفعة من انقلاب المعايرالقيمية . تحول المال الخاص الى بديل للمال العام بعد ان كان محرما شرعا وقانونا. امتيازات خاصة لفئات فاقدة للتعليم الدراسي ود مجتها بقانو الدمج الوظيفي فضاعت المهنية والتخصصات ضمن امتيازات للغير مؤهلين بمهنهم المدموجة مع مهنية العمل الحقيقية.اضافة الى تزوير الشهادات الدراسية العليا كي تكون لاصحابها مواقع وامتيازات لا يستحقونها لادينا ولا قانونا. اضف الى تشكيل طبقات وفوارق برواتب شهرية وحوافز لامثيل لها . كمنظمات السجناء السياسين وقانون رفحاء والخدمة الجهادية وغيرها ممن له عدة رواتب وامتيازات تمثل رد اعتبار لا اخلاقي لمكانات محددة من جغرافيات تفرزهم عن شركائهم مكانيا وعشائريا . شرائح افرزتها المرحلة لتكون منبوذة بما كسبت عن غير حق حتى من اقرب اقربائها ومعارفها.

الفصل العاشر

الوعي الاخلاقي للامكنة

من العجيب ان الكثير يُستفز من سماع

النصيحة وينصُت لسماع الفضيحة !

تأهيل المفاهيم:

المفهوم هو فكرة قادرة على التعميم , وتتضمن رؤية محددة ودقيقة في المجال الذي تعمل فيه تأهيل المفاهيم , تعطي للفرد قدرة على التامل والتفكير المنظم والعلمي , الذي بالتاكيد سينتج مجالا معرفيا يؤسس جملة ,من المفاهيم المنظمة فكريا قابلة للتجديد والمنفتحة على غيرها من الافكار.وان من اهم اسباب توقف الثقافة العربية هي توقف مفكريها عن تاسيس مفاهيم التجديد المعرفي . بل تشبثوا بمفاهيم الماضي وتوقفوا عندها مما ادى الى توقف تفكيرهم عن انتاج الجديد واصبحوا ينتمون الى عصر غير العصر الذي يعيشون احداثه وتطوراته.اشبه بمن يستخدم مفتاحا خشبيا صنع في القرون الوسطى ليفتح به بيته الحديث الذي يسكنه اليوم. مهمة تأهيل وتاسيس المفاهيم تقوم بها النخب على ان يتم تداولها في الاعلام والاوساط الثقافية والتعليم وصناع القرار. لتصل الى الفرد الذي هو الهدف كله ليؤسس بدوره فردانية تفكيره.

التفكير :

تعني ان لدى كل منا قدرة ما على التفكير, وانه لن تكتمل انسانيته وحريته ووجوده الحقيقي دون ان يستخدمها ويفعلها , كما ليس من حق اي منا , ان يستبعد فكرة انسان اخر فتجدد الذات هي تقبل اراء الاخر والتامل بها اي كانت لان اجزاء الحقيقة لايملكها الا اخرون يشتركون في استقلالية التفكير وحريته المتجددة حتى وان اختلفنا معهم هنا وهناك في الرؤى او الفهم المعرفي لتناول الجوهر من الافكار.وان رفض النقد ماهو الا تعميق للانا التي تقود الى تضخيم الذات الكاذب بستار الوعي الزائف. تاسيس مفاهيمنا من جديد وتنمية قدراتنا كافراد ,لابتكار افكار جديدة تبنى على نقد القديم. نكون قد ساهمنا في عقلنة العقل ,الذي هو مبتغى كل متجدد متحضر يروم التحديث لانتاج ابداع فكري,

يؤسس لمفاهيم جديدة للمثاقفة بكل مدياتها وادواتها

التثقيف والثقافة:

يعتقد البعض، ان المثقف هو من يعلم من كل شيئ شيئا . فهذه ليست مثاقفة بل معرفة عامة فكري يؤسس لمفاهيم جديدة للمثاقفة بكل مدياتها وادواتها واهمها المثقف الاستراتيجي . للتعلم . المثقف هو الشخص القادر على تغير فكره عندما يتبين له عدم صلاح فكره في مسالة معينة كان يعتقد بصحته. والمتعلم هو الاكاديمي الذي لم يستطع تغيير فكره عندما يشاء لان ضوابط القوانين العلمية لاتسمح بذلك . دور المثقف الاساسي ,هو المعرف بانتاج الافكار ونقدها لان الانتاج والنقد الدائم هو الالية الوحيدة التي تتيح للافكار ان تنضج جماعيا وتتبلور وتختبر وتشذب لتصبح حاملة للتغير الاجتماعي.

وعلى مدار قرون كان المثقف الحر او شبه الحر هو المثقف الحقيقي, الذي يقرع نواقيس التيقظ في كل مكان.ليتحدث في اللامتحدث فيه , ويفكر في اللامفكر فيه ويسلك دروبا قلما سلكه غيره, ليكون نموذج التحدي , وينحاز لمستقبل مجتمعه ضد ما يغتال ذلك المستقبل , من فكر سياسي واجتماعي وتربوي.

المثقف الوهمي الذي يجيد التزيف والتبرير الباطل . والمثقف التاجر الذي يبيع ضميره وليستسهل فكره وثقافته للسوق التجارية واسهمه لمن يدفع اكثر....والمثقف الكاسب هو من يعيش براتب شهري كموظف سلطة وليس كموظف دولة. فكل هؤلاء لايمكن تصنيفهم بصفة مثقف بل هم يحملون لقبا بلا صفة لانهم بلا موقف اخلاقي , وسياسي لتخليهم عن صفة المثقف الحقيقي صاحب الفكر المبدع الخلاق المتجدد.

تسيس المثقف :

في المجتمعات التي تسودها ثقافة ضميرية واقعية , تعبر عن هموم الانسان وتطلعاته وتلعب فيها النخب المثقفة والمتعلمة, دورا اساسيا في صنع المشاريع الوطنية الكبرى لتساهم بقيادته الى جانب السياسي ورجل الدولة. اما المجتمعات المازومة فهي مجتمعات تسودها, ثقافة لاضميرية منقطعة عن حاجات وهموم المجتمع, وغالبا مايكون مثقفوها منعزلون خائفون وتابعون للسياسي وللسلطة.

المثقف بصفته صانع للافكار والمشاريع النهضوية.اما السياسي فانه منفذ لهذه الافكار والمشاريع . اي ان المثقف هو من يمتلك فن التفاعل مع الواقع وفهمه وتعمقه في ابتكار المشاريع . والسياسي هو من يمتلك فن ادارة الواقع مجتمعا ومؤسسات دولة.

ان نرجسية السياسي , وتبعية المثقف هو نتاج الخراب الذي لحق في نهضتنا الحديثة ومازال, حتى وقتنا هذا.لاننا عجزنا عن خلق اي ثقافة عراقية وطنية

متجذرة، واي مشروع سياسي عراقي ناجح.والسبب يعود الى ان اغلب اتجاهاتنا الثقافية والسياسية لم تتفاعل مع واقعها حتى وقتنا هذا.لاننا عجزنا عن خلق اي ثقافة عراقية وطنية متجذرة، واي مشروع سياسي عراقي ناجح.والسبب يعود الى ان اغلب اتجاهاتنا الثقافية والسياسية لم تتفاعل مع واقعها الوطني.ومعظم ثقافاتنا السياسية كانت مؤدلجة . مترجمة من واقع ولغات اخرى . من الصعب ان نؤسس لثقافات متجددة تتناسل مع ثقافات التحضر, مالم نؤسس لمفاهيم جديدة تبتعد عن ارتهان العقل بعادات وتقاليد الاسلاف ، وظنية الاشياء، ولغرض اعادة تاسيس ثقافة فردية ومجتمعية . لابد من استنهاض النخب التي تبتكر افكارا خارج سياقات الثقافات السائدة حاليا في مجتمعاتنا. وهذا ممكن ان بدئنا باعلام واعي وساحات عمل مدني يؤسس السائدة حاليا في مجتمعاتنا.

ان نرجسية السياسي , وتبعية المثقف هو نتاج الخراب الذي لحق في نهضتنا الحديثة ومازال حتى وقتنا هذا.لاننا عجزنا عن خلق اي ثقافة عراقية وطنية متجذرة، واي مشروع سياسي عراقي ناجح.والسبب يعود الى ان اغلب اتجاهاتنا الثقافية والسياسية لم تتفاعل مع واقعها الوطني.ومعظم ثقافاتنا السياسية كانت مؤدلجة . مترجمة من واقع ولغات اخرى .

علينا ان نفهم ان ضيم تكرار تقليد معاني الماضي دون تجديد وبلا تامل ووعي ناضج لايقل ظلما عن اي تسلط اخر, ان لم يزيده دمارا لتاثيره على العقل الانساني ويجمد ادراكه ووعية وابداعه, وتفوقة في مختلف مناحي الحياة منتجا عماء الوعي الجمعي الذي اعتاد ان يقاد ولا يقود. في مايلي نسلسل ترابط عناصر الوعي الناضج. اخذين بالاعتبار ان كثير من اللاوعي هو احد منتجات الوعي الناضج او الادراك الواعي.

الثقافة الحديثة.

لها حواضن ووسائل التعقل والتجديد والتغير . متسامحة منفتحة على الثقافات الاخرى. هي علاقة بين علم النفس والانثروبولوجيا . ووضع حد واضح بين الثقافة والهيكلية الاجتماعية لتعطي علم الاجتماع انثروبولوجي , اي الانثروبولوجيا الاجتماعية . فهي معارف موضوعية كمادة خام للثقافة. لان الثقافة ممارسة حياة وممارسات فلسفية . وهي كموقف واتجاه وعواطف متزنة وعادات ومكان وتاريخ وموروث. وغالبا ما تتسع الثقافة الحديثة اي المتحركة , المتجددة , عندما يكون في المجتمع اقتصاد متحرك متنوع الموارد لا ريعي احادي . وتكون فيه الطبقة الوسطى والقطاع الخاص , هما صاحبا المصلحة في المنافسات النوعية والترويجية . فتنشط عمليات التاهيل البشري في رفع القدرات والقابليات في مساحات متعددة اسميناها الثقافة المتحركة او ثقافة الوعي الناضج . .

الثقافة البدائية:

وحدة معقدة تشمل المعرفة والايمان والفن والاخلاق والقانون والعادات والتقاليد وبقية العادات الاخرى. تمتلك ثقافة التعالي , وهي ثقافة المجتمعات العشائرية والدينية . شيوع ثقافة العيب , وثقافة التسلط كثقافة ذكورية تتقمص الشخصية متباهية مغرورة اي السقوط اللاحق .هي ثقافة السكون الذي يعتمد التنميط في المدخلات والمخرجات المعاشية

ان مايخلخل التعاملات وانسجام المفاهيم , ويقلب موازين المدن او العواصم هي : المستبدل من البضائع والمحاصيل الزراعية والمنتجات الغذائية الوافدة من الريف . عندما تستبدل بهجرة المنتج اي الفلاح او المزارع الى المدينة او العاصمة ويشح الانتاج الزراعي نتيجة الهجرات المعاكسة. هي احد اهم الكوارث في عدم تجانس المفاهيم والثقافات . حتى ا لسياسة تمارسها عقلية متريفة برؤيا مختلفة تماما عن رؤى المدينية في اروقة الدولة والسلطة . فتختلط الاعراف مع التشريع.

ادناه مخطط لتسلسل منهجية انضباط ايقاع اخلاقيات الامكنة الجغرافية

الفصل الحادي عشر

مقومات الجغرافيا

اصدق الصدق الامانة واكذب الكذب الخيانة!

كانت ومازالت، الجغرافيا تاريخا وواقعا، االمحور المؤثر في لعب ادوار متحركة, رغم ثبات الارض الا ان مكانها وحدودها وتواصلها مع الجغرافيات الاخرى, وباطن الارض بمايملك من ثروات متعددة . مواد معدنية، وكيماوية، وطبيعية، نفط وغاز . تجعل للجغرافية اقتصاد متحرك يتخطى مساحة البلدان, ليرسم استراتيجيات لثروات شعوب وبناء انسان متقدم، متطور ومتحفز نحو المنافسة الابداعية المتجددة.

وافضل الجغرافيات هي التي تملك ثروة المياه .. وخزائن الارض المكتشفة والمستورة. كل هذا يخضع لفن ادارة هذه الموارد الجغرافية وكيفية استثمارها لبناء مجتمع له منافع ودوافع في استمرار خلق الجديد , المكتشف والمطور, المشيد والمحسن مما يحفز المجتمع ليتعامل مع جغرافيته – الارض – الوطن، ابداعيا، ليعيد بناء هويته المجروحة، ويثبت انه مجتمع خلاق يمكن ان ينهض من جديد.

لاستنهاض هذا الترابط الانتاجي بين ابداعات المجتمع, وغنى الجغرافية وتعدد مواردها وتحويلها لقيم ربحية اضافية زراعيا وصناعيا .. الخ، بتخطيط سليم متعقل ذات كفاءة ومعرفة، لبناء انسان الدولة ودولة الانسان . لايمكن ان يتحقق هذا الطموح الاستراتيجي , مالم تكن نخبة اي صفوة المجتمع, ومفكروه وأكاديميوه المتخصصون. تاخذ مواقعها في عمليات النهوض، التخطيط والبناء لأداء هيكلية الدولة المفقودة.

الاقتصاد والتعليم:

الاقتصادات في العالم هي علوم وليست كتل نقدية لبلدان تصنف بالفقر او الغنى، هي ليست بنوك لتداول النقد والعملات،وسوق الاوراق المالية . الاقتصاد هو الصناعة والتكنولوجيا والزراعة الفائضة عن الاستهلاك المحلي والتي تدخل ضمن عمليات التصنيع والتعبئة والتسويق، هو المواصلات والاتصالات .

الاقتصاد هو فرع من فروع علوم الاجتماع وعلوم السياسية . الاقتصاد هو جوهرة التخطيط بكل مدياته. فمنه اي الاقتصاد نخلق تعليما تربويا مبدعا مناهجه تنسجم مع حاجات المجتمع الاقتصادية المتحركة والمتغيرة باستمرار. *فمعدلات النمو والدخل المحلي والقومي والقيم المضافة, كلها مؤشرات تترجم طبيعة الاقتصاد* في البلدان . معيار الزيادات في استخدام الفرد للكهرباء احد المعاير في تعافي الاقتصاد ، ما يعني، وجود تقنيات تلبي حاجات الانسان اليومية المنزلية وغيرها . كذلك نسبة الارض المزروعة – الخضراء – داخل المدن هي الاخرى معيار للرقي في المدن المتقدمة، اضافة لنسب التلوث البيئي وتاثيرها على المزاج الابتكاري للفرد.

التعليم التلقيني احد اسباب الانتكاسات , في المفاهيم العصرية على الاقتصاد الوطني وعلى مجمل الفواصل الفاعلة في تثوير العقول , لانتاج ابداعات فكرية متجددة. فعندما تكون مواردنا ريعية احادية ساكنة, وتعليمنا تلقيني .تبني مجتمعا مستبدا لايقبل التغير. فعلم الاجتماع التربوي يؤكد على ان منبع الاستبدادت في مجتمعاتنا . بسبب التعليم التلقيني اضافة, لاحادية اضافة للاستبدات المجتمعية الاخرى.

فعندما تكون المناهج في المدارس الابتدائية جيدة، ستكون مدارس المتوسطة والاعداديات افضل وبالتاكيد ستستلم الكليات والجامعات طلبة لهم تفكيرا وابداعا افضل، مما كان عليه في المناهج التلقينية البائسة . وهكذا فحركة الدولة ببناه التحتية (المجتمعية) تنمو وتتطور كلما تطور التعليم .

الطبقة الوسطى :

ليس المقصود بالطبقة الوسطى , الطبقة المصنفة بمواردها المالية الشهرية ,او من يملك دارا سكنيا, او يوفر من مدخولاته الشهرية بمالايقل عن ثلث دخله. الطبقة الوسطى هي طبقات الوعي الناضج .. هي طبقات تتداخل فيما بينها لتشكل حركة مجتمعية تسعى لمستقبل افضل، هي الصفوة والنخبة التي تفكر وتبدع لتامين حاجات مجتمعها بكل طبقاته واطيافه. هي الطبقات المستفيدة من تاهيل وتعليم افراد المجتمع ليكونوا همزة الوصل بين , الاقتصاد المتحرك النامي

والتشريعات القانونية الضامنة لحركة المجتمع الحر. الطبقات الوسطى هي الرديف لكل ابداع يؤطر وعيا ناقدا للا نحرافات في مختلف الاصعدة . هي النموذج الانيق لحركة المجتمع المدني في كل بلدان العالم المزدهر.

فمن الطبقات الوسطى تكون للمجتمع ثقافة عقلية حديثة . هي نخبوية الوعي المتجانس بين المثقف والسياسي بين الواعي واللاواعي هي مدرسة لجنين المجتمع. لقد فقد المجتمع العراقي هذه الطبقة الواعية المحركة , لكل الطبقات الاخرى بعد ان كانت نسبتها تتجاوز ال 18% من نسبة السكان في العراق , وقدرت حينها باكثر من ثلاثة ملايين ونصف نسمة . عندما كان تعداد السكان بحدود عشرين مليون نسمة.فكانت تساهم في ارسال ابناءها للبعثات الخارجية كي تتاهل لمواصلة المسار الذي ينتهجه الاب كذلك تؤهل العاملين , لديها بدورات تدريبية خارج العراق.

الامكنة وهوياتها المناطقية

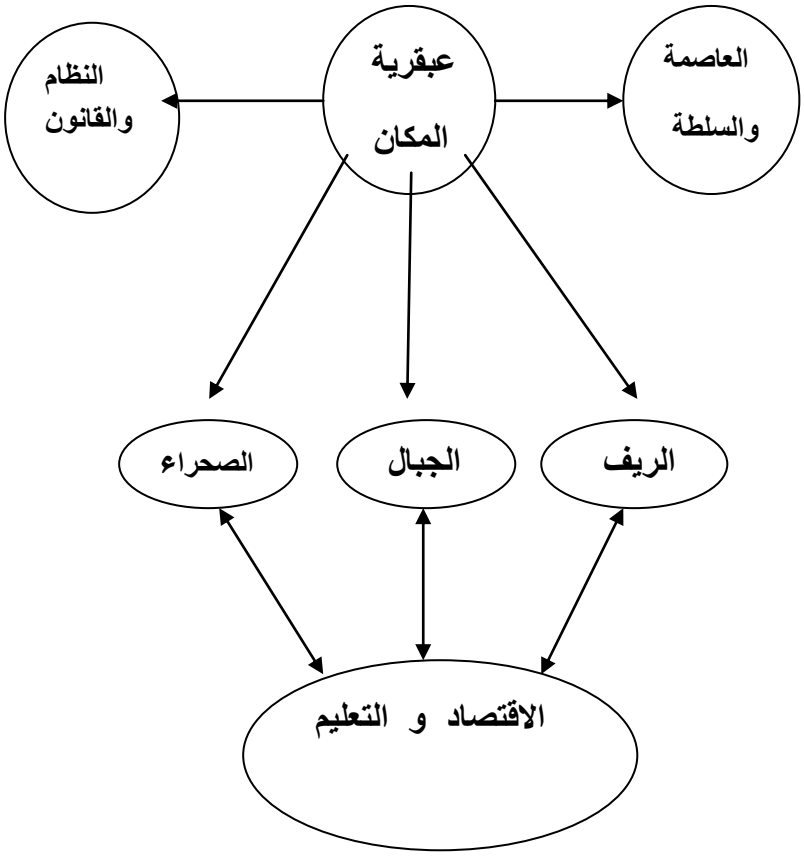

واقع مُعاش :

التشخيص الحر عندما ينطلق من عقل يحب وطنه وشعبه , غالبا مايكون تشخيصا نابعا من بنية المعاناة التي يعيشها مع مجتمعه , ويتحسس الدمار الهائل من تفليش الدولة والمجتمع بشكل ممنهج ومبرمج. يساهم فيه اهله وابنائه الذين لايمتلكون رؤيا لمصالح العامة بل لمصالحهم الفئوية والمذهبية , والعرقية . وغالبا مايقعون في مستنقع البؤ ر الظلامية التي تفلش مجتمعها وتحتفل في تجريفه , وتعتبره انتصارا وتنشد له احلى الالحان الغنائية, لتجيش سذج العواطف المنفعلة بحماس كاذب لايتعدى التقهقر والانكسار الذي شهدته امتنا العربية , وبمقدمتها العراق الذي كان نموذجا لطفرة متقدمة في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والصحية . لكنه سرعان ما اصبح صرحا من خيال فهوى .

ان اهم الاسباب التي يمكن تشخيص بعضها , يصعب جمعها في كتاب او مجلد , تتعدى الواقع العراقي المتضاد والمتحاجج , والمتعالي, والمزدوج في تعاملاته , لا يعترف انه قد اصبح مغلوبا . وعليه ان يغادر ساحات الغالب لكي يبني واقعا متغيرا يحتاج الى ثورة من عروق ظلم المفاهيم التي اكتسبناها من التربية الاستبدادية منذ النشاءة , اي بيئة المدرسة , وغلق اسوارها باقفال يصعب فتحها . ترافقها عصا المعلم وهيمنة الدارة التي تحرم على الطالب الاقتراب منها , كونها جزء من اسوا ر الاستبداد التعليمي . الذي عليك ان تتقبله رغما عن كل مايحدث من تغيرات وتطورات , معصرنة, في المجتمعات الاخرى.

ومن التربية الاجتماعية وذكورية السلطة حتى في تصاميم بيوت السكن هنالك امكنة تسمى بالبراني اي الخارجي . لعزل ضيوف الرجال عن ضيوف النساء. والعيب بيننا ونحن صغارا اصبح احد الاعراف الاجتماعية , بل اقترب من التشريع الديني في الحرام والحلال . في ان تلعب لعبة الاناث ولايسمح لهن بلعبة الذكور. او حتى اللعب سوية مع بنات الحارة وانت طفل لاتميز بين الفروقات العضوية.

فتكونت لدينا من البيئة التي عشناها هويات اكتسبناها رغما عنا . واولها جنوسة الدماغ التي هي هويتك الذكورية او الانثوية التي تحرم الخلط بينهما . اينما تذهب احمل هويتك الذكورية في البيت على الاخوات اولا , يساعدك الاباء بانك ولي الامر بعد الاب.

اما محددات واصول العشيرة ورجل الدين فهي الاخرى لاتخضع لارادتك اينما تكون , وكيفما تكون. الطاعة والاحترام وتنفيذ الاوامر بلا نقاش . هو المعيار الذي تكون فيه

حسن الاخلاق وفي غاية الادب الرفيع . لكنك تستطيع ان تستفسر عن كيف الطريق الى تنفيذ ماهو مطلوب منك . وليس التعرف عن لماذا او مالسبب لذلك.

ومن هنا تاسست لدينا الثقافة المكتسبة من الجغرافية اي من المكان . هويتنا اي شخصيتنا التي هي كما مدون في البطاقة الشخصية للفرد :

اسمك واسم امك وابيك وديانتك وقوميتك مع طولك والعلامات الفارقة واللون . هي المكتسب البيئي من ثقافة المكان لبسناها رغما عنا. ومنها نشاء وعينا الاولي .

ثم جاءت الاحزاب الايديولوجية القومية منها والماركسية وبعدها الدينية . لتكون ساحات العراق من اوائل الدول العربية التي كانت مسرحا لهذه الاحزاب . التي اضافت انتماءات لما هو مكتسب سابقا . فتنافست فيما بينها لكسب جمهور يتقبلها كاحزاب بافكار بعضها مترجم من لغة اجنبية الى لغتنا , العربية , واخر تعليماته نصيه من الاعلى بتأويلات مختلفة ومتعددة. ورغم ذلك وجدت لها حواضن اجتماعية اغلبها من الفقراء والطبقات المتضررة التي تبحث عن ملاذ امن يخلصه , من المعاناة التي كانت تعيشها انذاك . ولاتخلو هذه الافكار من حواضن نخبوية مثقفة تلاقفت المستورد , والمؤول احاديا من النصوص . لتتبني الترويج كل حسب ما اقتنع فيه . وعندما نقول اقتنع فيه لايعني القناعات اليقينية , بل معظمها قناعات عاطفية لم تدخل العمق لسبب بسيط . لانها لم تكن قادرة على نقد ماهو موجود من ادبيات ايديولوجية , ذات نصوص لاتبتعد كثيرا عن تسيس النص لمصلحة السلطان الحاكم وفي الغالب يكون المستبد فردا او مجتمعاً في بيئة هيمنت عليها تعاليم المنافع الفردية.

اعطت هذه الاحزاب او التيارات تغيرات في بنية الفرد وشعوره باستقلاليته كونه سيكون مخلصا ومنقذا لمعاناة الجماهير . فا ختلط ما هو مكتسب من المكان من عادات وتقاليد وهويات ذكورية الى مفاهيم التساوي بين حقوق المرأءة والرجل . وشعارات التحرر من القيود الاجتماعية السائدة . ومعظم التنظيمات الحزبية كانت سرية وغير مجازة للعمل العلني . وهذ ما منحها صفة المعارضة والضدية من السلطات الحكومية والدولة بشكل عام. فتكونت لدى عامة الناس المنتمين منهم والمستقلون ,تعاطفا مع اعضاء هذه التنظيمات وليس مع فكرها الايديولوجي . لانهم لم يطلعوا وان قرؤوه فلن يفهموه بشكل واعي وعميق. لربما يقرؤن عناوينه وليس معاني مضامينه وهي من اهم

معرقات الفهم الذي نعاني منها بشكل شائع ومزمن .

فتاسست فواصل عديدة بين الجماهير فيما بينها لاختلاف التوجهات العقائدية والسياسية , مما زاد في انتشار الهويات الفرعية . الحزبية , يسارية او قومية عروبية او قومية اخرى , او دينية بغطاء مذهبي. كل منها يحمل ارثا عشائريا مهما تغلف باغلفة العلمانية والليبرالية الشعاراتية. وهو الواقع الحقيقي والملموس الذي نخطف ثماره الان . وبات المواطن كل حسب انتمائه , يشعر بانه مهمش ومغترب في الدولة . التي فشلنا في انتاجها كدولة تحمي كل المواطنين , بغض النظر عن انتمائاتهم .

وما حدث من تغيرات في المنطقة قبل وبعد انتكاسة حزيران عام1967. ومن انقلابات عسكرية , ايدتها الجماهير لاسقاط الانظمة . الا ان ما نتج عن ذلك صراعات حزبية , وفوضى شعاراتية بين ماكان يسمى باليسار وبين التيارات العروبية والكردية.فتسيس كل شئ ليصبح جزءا من الحرب الباردة بين اقطابها . ونحن جزئها المفعول به والغير فاعل باحداثها . قلة الوعي وحماسة الولاءات , وفوضى المراهقات السياسية . فرز استقطابات بين دول المنطقة وشعوبها , وبات لايخدم جميع ماورثناه من المكتسب البيئي والحزبي . لان الوعي الزائف حل محل كل ماهو مفيد للوعي الجمعي او للعقل الجماعي . فكانت الجماهير تمتطي لمن يقودها , واصبحت اللادولة هو هدف عفوي لكل الاحزاب وسحبها لانقاذ الواقع المزري والمخيف . وكانت الثقافة الساكنة هي التي نعتمدها في حياتنا اليومية . بل والمتخاصم بعضها مع ذاته التي هي في خندق واحد. وحمت نفسها واهية في أصغر الخنادق باعمق الحفر, معتقدة انه الملاذ الآمن البديل للدولة.

للمكان عبقرية في التأثير والتأثر على السلوك والعواطف وعلى مجمل العلاقات بين الافراد, اي للبيئة المكانية , الثقافة الجغرافية . منها تخلق صفات وعادات تصبح متأصلة في الفرد. بل تعتبر احد الجينات المكتسبة من المكان , ويمكن ان نقول انها جينات صنعتها الامكنة . يضاف على ماهو موروث من الاباء والاجداد . وسنتطرق عن ذلك بشكل موسع ناخذ بنظر الاعتبار طبيعة المناخ والغذاء في التاثير على العواطف والامزجة والتعاملات بين السكان وبين الاخرين .

كل المدن الكبرى وعواصم البلدان انشئت من خلال توسع نشاط المدن الريفية وصيد الاسماك . فكانت الحاجة الماسة الى مواصلات ومخازن قرب منافذ المرافئ لتسويق المحصولات الزراعية الفائضة عن الحاجة.مما كانت الحاجة الماسة لوجود مصارف للتداول النقدي. اضافة لاهمية اكتمال التعاملات وفض النزاعات . تم ايجاد المحاكم والمحاماة لحل النزاعات,بشكل قانوني وحسب العقود والاتفاقات التي كانت هي الاخرى المنظمة للعمل التجاري والسوق . وبمرور الزمن وتوسع المحصولات الزراعية وصيد الاسماك , وتربية الثروة الحيوانية . اصبحت الحاجة ملحة لاقامة مشاريع لتصنيع المحصولات الزراعية والثروة الحيوانية . فكان توسع المدن والعواصم هو الملاذ الذي ينظم عمليا التعامل بشكل منسق ومنظم بين الريف والمدينة. فتكونت طبقات لعبت دورا مهما في عمليات النقل والتسويق وتجارة المواد وتصديرها . فكانت (الطبقات البورجوازية) التي امتلكت مايميزها عن بقية الطبقات الاخرى .

لابد لنا من الاشارة لاهمية الطبيعة الجغرافية وتاثير الغذاء والمناخ على السلوك والعواطف وغيرها من المؤثرات على الناس افرادا وجماعات متعايشة فيما بينها . كل حسب بيئته ومكانه . لما لذلك من انعكاساتها على النشاط الذهني . وما يخص تنوع الجغرافيا العراقية, بين السهول والوديان والجبال, والصحراء ومتون الانهر, والريف ذو الطبيعة الزراعية, وحياة الاهوار التي تميزها عن بقية الاماكن سكانا وجغرافيا.

ان مايخلخل التعاملات وانسجام المفاهيم , ويقلب موازين المدن او العواصم هي : المستبدل من البضائع والمحاصيل الزراعية والمنتجات الغذائية الوافدة من الريف . عندما تستبدل بهجرة المنتج اي الفلاح او المزارع الى المدينة او العاصمة ويشح الانتاج الزراعي نتيجة الهجرات المعاكسة. هي احد اهم الكوارث في عدم تجانس المفاهيم والثقافات . حتى ا لسياسة تمارسها عقلية متريفة برؤيا مختلفة تماما عن رؤى المدينية في اروقة الدولة والسلطة . فتختلط الاعراف مع التشريع . اضافة الى تعثر بل انحسار في مرتكزات الامن الغذائي . وهذا مايؤدي الى اختلافات عديدة بين السكان , بسبب تمايز ثقافة لمكان , وتاثيره على السلوك العام والتصرفات السائدة بالمجتمع .

الثقافات وعلم الانثروبولوجي

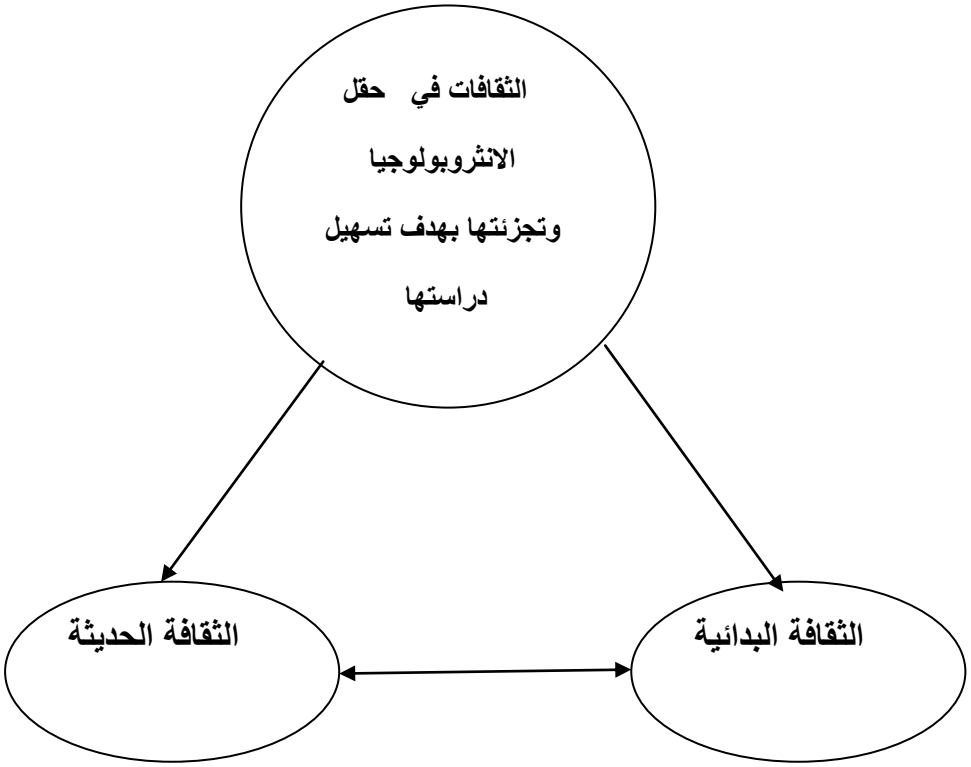

من حق اي مجتمع اي كانت امكنته الجغرافية ان يعيش بحرية وكرامة , ويمارس تقاليده وعاداته وطقوسه الدينية , ويحتفظ بهويته وانتمائه الوطني للمكان ككل او لجزء منه وفق القوانين الدولية المتبعة ضمن لوائح حقوق الانسان.على ان لاتتعدى حقوقه حقوق المجتمعات الاخرى داخل وخارج الهوية الوطنية الرئيسية.

ان بحثنا هذا لايتعدى البحث المعرفي ولاينتمي لاي توجهات سياسية او عرقية تميز بين عرق واخر. انما هي محاولات جادة لم يتناولها الباحثون ضمن الرؤيا والاطر التي رسمناها في موضوعنا هذا. نأمل ان تكون مادة للنقد المعرفي والبحث العلمي لارشفة المكتبات العربية في مجالات علم الانسان والمجتمع والمدن.

البيئة المكانية وطبيعتها كجغرافية بها تنوع طبيعي كالجبال والسهول والانهر والمدن بانواعها والبوادي والصحاري والريف الزراعي ومدن الموانئ وتعدد الثقافات الاجتماعية

من خلال السياحة بانواعها الترفيهية او الدينية . كل هذا التنوع الجغرافي له تاثير مباشر على طبيعة السكان وسلوك افراده كشخصيات لها صفاتها . اضافة لما تقدم من فصول حول الامكنة والمناخ , تتناول بعضا مما نراه مكملا برؤية اخرى , سنتناول نموذجا للجغرافية العراقية باماكنها التي تشكل الاغلب في التنوع كمكان وكمجتمع . في جميع المناطق تتسم القيم الاخلاقية العالية بالكرم والجود. والمروءة وهي السواد الاعظم للاعم من السكان اينما عاشوا او رحلوا. والعواطف الجياشة احد اهم الصفات التي تؤذي التعقل في النظر بضروريات واولويا التعامل المجتمعي بين الناس .

الفصل الثاني عشر

الموروث الجيني ومدى تغيره

نحن لانكبر عندما يمر بنا الزمن , ولكننا

نكبر عندما تموت الاشياء في داخلنا!

ماتوصل اليه الالف وستمائة عالم من مختلف انحاء المعمورة حول خارطة الجينوم الوراثي للانسان بتصنيف وترميز اسرار الثمانون الف جين والثلاثة مليار وحدة والمائة ترليون تفكيك الخريطة واكتشاف اسرارها يعادل مائتان كتاب بحجم خمسمائة صفحة لكل كتاب.

مصطلح جينوم تعني الدلالة العلمية للحقيقة الوراثية البشرية القابعة داخل نواة الخلية وهي التي تعطي جميع الصفات والخصائص الجسمية الظاهرة وتعطي الصفات الباطنية لكينونة الانسان و سلوكه الخلقي .

لايوجد جين واحد يمتلك التاثير على اخلاق الفرد عموما والعراقي تحديدا, مالم يتناغم مع جين او اكثر، اضافة الى التاثير البيئي جغرافيا وسياسيا على الفرد والمجتمع، مما يؤكد: انه ليست هنالك أخلاق مثلى دائمة لاتتغير، بل هنالك تغيرات اجتماعية تؤدي الى تغيرات أخلاقية في مجمل السلوك الظاهر والباطن.

تحديد الجينات الوراثية وتاثير البيئة الطبيعية والسياسية على الفرد العراقي مما يجعله مختلفا عن غيره هو ما بحثناه في فصول كتابنا هذا. وما تم نشره في دراسات ومقالات منشورة منذ سنوات. التزاوج بين علم الاجتماع وعلم البايولوجيا الحديثة في التكوين الجيني على وجه التحديد هو لب الموضوع المراد بحثه هنا.. وساختار بشكل نخبوي بعضا من الجينات مع التي تلبي استنتاجات بحثنا في الربط بين المكان والموروث الجيني للفرد ومدى تاثير ذلك في الانثروبولوجيا , علم الانسان والمجتمع.

ادناه بعضا من الجينات التي تلعب دورا اساسيا في السلوك البشري , وممكن ان تتحسن او قد تضمحل , ان كانت البيئة الاجتماعية تتسم بالتسامح والمحبة والاخلاق الحميدة و بمنظومات قيم تحترم الاخرين. والعكس صحيح ان كانت

البيئة الاجتماعية اي الثقافة المجتمعية السائدة , هي بيئة سيئة لاتنتمي لمنظومات القيم الاخلاقية , متوحشة مع الاخرين رافضة التعايش معها . فهؤلاء تنمو جيناتهم السيئة فتتكون لديهم مانسمية بالشخصيات الهدمية العنفية التي تهدم ذاتها لكي تهدم الاخرين معها. سنتناول بعضا من الجينات التي تؤثر بعد تناغمها مع محفزات بايولوجية وبيئية من ثقافة المكان . فتؤثر على السلوك بشكل مباشر مما ينتج شخصيات مركبة تتعدى الازدواجية التي تناولها الاخرون.

اولا:

جينات الكذب:

أهم العوامل الفعالة في علم الانسان وسلوكة واعماله او علم الجماعات البشرية وسلوكها لابد ان يدرس بطرق علمية بمنظور معرفي، سنحاول تناول ذلك في موضوعنا المنوه عنه. كجزء من جينات تصنعها البيئة وجين الكذب مدخلا لذلك.

ولان الجغرافية في العراق متنوعة بين الجبال والبادية الصحراوية والريف والاهوار والمدن الحضرية والمدن الدينية. لابد لهذه المتغيرات من سكان او مجتمعات مختلفة الثقافات الاجتماعية ومن هنا ينشاء افراد وجماعات بسلوك وشخصيات مختلفة تحمل موروثها معها . واي تكن المعلومات الاحصائية عن الافراد او الجماعات فهي معلومات لتلكم الجماعات كعينات لاتمثل كل سكان المنطقة او الشعب فليست الاحصاءات هي لشعب بل لمجموعات من شعب، وهذا يعني ان الشخصية هي ليست واحدة بل شخصيات متعددة، حسب مكانها الجغرافي .

لكل مكان وبيئة عادات وتقاليد، ملبس ومأكل وموسيقى وغناء، لهجات ولغات معتقدات وقوميات وهويات بانتماءات تختلف بمكانها وسكانها رغم الامكنة المتنوعة الا انها في مكان اعم واوسع هي ارض الوطن الواحد الذي تتقوى به جميع الانتماءات الجزئية والمكانية.

ومن خلال البحوث النظرية والمختبرية اتضح ان للبيئة المكانية اي الجغرافية الثقافية التي تشمل الايكولوجيا الجامعة وهي دراسة المحيط الحيوي بما يعيش عليه وفيه من كائنات حية، لها الدور المهم في السلوك المكتسب المنتمي لطبيعة المكان اضافة لاهمية البايولوجيا ..اي مايحمل الانسان من صفات وراثية .

جين الكذب الخّلقي:

الكذب الولادي او الكذب الخلقي [2] Congenital Lying

الكذاب بالولادة هو ذلك الشخص الذي لايستطيع قول الحقيقة وسببه الرئيسي هو خلل وراثي مبرمج جينياً، وعندما يسئلون : هل تعلم بانك تكذب يجيب بثقة, لا , لانه يعلم بانه يكذب، معنوياتهم عالية، ويصنف مجتمعيا بالعيب الاخلاقي كون حملة هذا الجين من المحتالين في تعاملهم مع الاخرين وفي الاغلب يعانون من هفوات اخلاقية منذ المراحل الطفولية في الغش والخداع وعادة يوضعون بالسجن باحكام مخففة معتقدين ان البيئة والتربية العائلية لها الدور المؤثر على سلوكهم هذا، مستبعدين الاسباب الوراثية الولادية عليهم.

الباحثون في علم البايولوجيا اكدوا ان المصابين بالكذب الوراثي يعود لسبب فريد يمتازون به بنمط عصبي غير معتاد في ادمغتهم ناتج عن خلل او تلف وراثي في الدماغ وهو نموذج شاذ بايولوجيا .

الكذب المكتسب جغرافيا:

ماذا نعني بالبيئة او النشاءة التي نكتسبها من المكان الذي نعيش فيه؟

البيئة هي المكان الجغرافي الذي تتعايش فيه الكائنات البشرية وغيرها من عادات وتقاليد ، معتقد ديني واعراف عشائرية، لغات ولهجات، أفراح واحزان، طقوس وشعائر، تاريخ واساطير،مناخ وانهار،، جغرافية وتضاريس ،ارض متنوعة زراعية ،صحراوية، جبلية او مدينية . كل هذا وغيره يمثل البيئة التي نعيش فيها.

ليس للوراثة او مانحمله من صفات موروثة جينيا تاثير مباشر بمفردها على سلوكنا مالم يكن للبيئة دور فاعل ومهم على السلوك العام للفرد وللجماعة.. فضوابط بعض منظومات القيم المجتمعية ترشق وتهذب السلوك، واخرى تصنع السلوك السئ.

جين الكذب الصناعي :(Synthesis Gene)

طبيعة النظم الاجتماعية التي تعج بالاستبدادات السياسية والعقائدية والمجتمعية واحادية الفكر الشمولي وفقدان لمنهجية الاقتصاد المتحرك والمتجدد، واعتماد المواطن على جهده وعلاقاته لحماية عائلته ووجوده، يكون الاغتراب واضحا بين المواطنين والدولة الفاقدة لكيانها كدولة تحمي المجتمع... من كل ذلك ولظروف اخرى متراكمة من افرازات الحروب وتاثيرها على تفكك النسيج المجتمعي وعدم وجود الضمان الاجتماعي وفساد الساسة .هذه التراكمات شكلت فوارق طبقية اغلبيتها من البطالة التي لاتملك رصيدا مجتمعيا يضعها بين الطبقات ذات الفورة المفاجئة.[1]

بهذه التناقضات وتسليط الاعلام على مؤثرات لاتنمي وعي المجتمع بشكل علمي وسايكولوجي بل تعمق بهرجة الحياة الترفة الحالمة والتي لها تاثير مباشرلسلوك جمعي يمتاز حاملوه بشبوب عواطف تضخيم الانا الكاذب.

فيتعاظم النفاق الاجتماعي وتسويق الذات[1] لغرض الكسب بغض النظرعن اخلاقية الاسلوب الترويجي للشخصية اينما تكون . وبهذه التناقضات تنشاء ما يسمى بالشخصية الازدواجية وهي اسلوب وسمات يتمتع بها الفرد كمنتج طبيعي يتعدى الازدواجيات الى اكثر من ثنائيات سلوكية من خلال هذا الخضم المتناثر من المتضادات التي افرزتها الانظمة الحاكمة وترعرعت بحواضن مجتمعية مؤهلة لتكون متضادة فيما بينها باكثر من ازدواجية مركبة ومتداخله .... في هكذا بيئة تمتاز بها البيئة العراقية التي يمكن ان تنسف مفاهيم علم الاجتماع السائدة منذ ان وضعها المرحوم علي الوردي الى ما يمكن ان يصاغ بطريقة مختلفة من واقع جديد تعدى الازدواجية الى شخصيات مركبة متعددة تختلف من مكان الى اخر داخل الوطن الواحد[1] .... فاصبحت صناعة الكذب والتحايل والغش والتزوير سمات افراد وجماعات وهويات ومؤسسات باساليب لايردعها قانون لان شيوع هذه الممارسات اصبحت تتعامل مع اصحابها قبليا عن طريق المقايضات وعلى حساب المصلحة العليا والحق العام الضائع.

(Self deception) خداع الذات

هو نوع من الاوهام الكاذبة في شيوع خداع الوعي، وتعاظم الاوهام تقود الى البهرجة والابهة الكاذبة، التي تحتضنها جماعات لها مصلحة بذلك لتكون حماسا عاطفيا يسوده العنف لاجبار الاخرين لتقبل هذا النهج من الخداع . ونتيجة لذلك تترسخ نرجسيات مجروحة تتناقض مع الواقع العام فمثلا:

يريد الانسان ان يكون كبيرأ ويرى نفسه صغيرا، يريد ان يكون سعيدا ويرى نفسه بائسا او يريد ان يرى نفسه كاملا لكنه مليئا بالنواقص، يريد ان يكون موضوعا للحب والتقدير من قبل الناس ويرى ان عيوبه لاتستحق الا الاحتقار والازدراء.هذا المأزق الذي يجد نفسه فيه يولد لدى الفرد الشهوة الى الظلم والاجرام ويولد لديه حقدا مميتا لهذه الحقائق ومعظم هؤلاء عادة يلتحقون بجماعة او بحركة متطرفة بهدف اجراء التغير واهمين بامل تغير مفاجئ لظروف حياتهم، فيتحول ذلك الى سلوك محبط يؤدي الى الشعور بالفشل ويتسم حاملوه بجلد الذات والتلذذ فيه، لينسى بؤس حاضره باستذكار جثث الماضي.

ومن هذه القناعات يسود تضخيم الذات الكاذب وعملقة الماضي كجزء من بطولات وهمية لاتملك سوى عواطف تنشاء من المحيط البيئي، وبدورها تصنع جينات مكتسبة تمثل السلوك المضطرب (مرض البانورايا).

وهنالك جينات يمكن اكتسابها او صناعتها مجتمعيا من خلال التكرار وتنميط الثقافة بما يخدم السلطات الاستبدادية بكل انواعها لبناء عماء الوعي لقطيع ممن يحملون شبوب العواطف العنصرية والاقصائية .

يمتاز الساسة بالكذب المركب غشا وتزويرا وتحايلا واستسهالا في سرقة المال العام وكما اعتدنا بان الساسة بانانيهم وتفضيل مصالحم على مصالح الاخرين, ليكونوا اسوء نموذج اخلاقي يسئ لشرف المسؤولية والامانة والاخلاص وبهذا اضاعوا المحتوى الانساني لكل معاني الاخلاق.

ثانيا:

جين الطمع

الرمز العلمي :(FTO gene)

الطمع وسلوك الاستحواذ , عادة مايكون خلل هرموني سببه جين الطمع والشراهة في الجينيوم الرمزي اعلاه. وعادة ماتكون مجتمعاتنا , هي المعنية في الولائم المترفه والمبذرة في كمية وانواع الطعام والثريد. واحد اسباب السمنة في اي مجتمع كان هو بسبب جين الطمع والشراهة.

الدراسات الاحصائية بينت ان هنالك نسب من العينات تؤكد ان البعض يعتبر الطمع سمة ثقافية . والاخر يعتبر ان الثقافة بدون طمع لاتعتبر ثقافة برجوازية تميز اصحابها عن غيرهم اجتماعيا.ومن الخطير ان البعض وهم ليسوا تزامن جين الطمع لديهم ليصبح عادة . لاتقل عن عادة الادمان على التدخين او غيرها من العادات الاجتماعية. وما يثير اهتمامنا هو ان جين الطمع ترافق بشكل متلاصق مع الاستحواذ على مايمتلكه الغير , طمعا يقترب من السرقة العلنية او الخفية. واكثر البدناء , اصحاب السمنة الجسدية , هم طماعون لايبالون بالغير بل تسري الانانية , كجين صناعي مكتسب بيئيا.

ثالثا :

جين الادلجة والتادلج:

الرمز العلمي :(DRD4 with 7R and D4)

لمصطلح الايديولوجيا في اللغة وتعريبها على قواعد الصرف العربي الى: أدلوجة وأدلج يؤدلج ومؤدلج وأداليج وأدلوجات .

فالعقيدة اي كانت فهي ايديولوجيا ومعتنقها مؤدلج ويحمل بداخله رقيب لايقل عن رقيب الامن السري، والاداليج هي التي تشكل الوجدان القمعي وتحجيم حرية الضمير الاخلاقي في الفرد.

في الانثروبولوجيا البايولوجية توسع علم الوراثة والتسلسل الجيني في الانسان وسلوكه واخلاقة،، ولم يتطرق اليه باحث في علم الاجتماع او السايكولوجيا ليبحث اهمية التاثير الجيني على اخلاق المجتمع (1) من جهة وتاثير ارتهان العقل في اداليج المعتقدات.

هنالك ثلات انواع للعقل المؤدلج احادياً وهي كما يلي:

اولا: التأدلج عن طريق الثقافة الشفاهية او المقروءة صحفياً، التي تشكل لديه يقينيات يصعب تغيرها .

ثانيا: أدلوجة الاكتساب العاطفي المنفعل كمنتج بيئي موروث عقائديا من الاهل والاقرباء او الاصدقاء وظلت عالقة في الذهن، لارتباطه بذكريات جميلة حميمية عاطفية.وعادة تغلب عليه الفوضوية النقابية والسطحية في المفاهيم.

ثالثا: المؤدلج المحبط، سرعان مافعل(بفتح الفاء والعين) عقله ومعرفته للواقع. وتبين عقم اليقينيات التي كان ينتمي اليها، وظل يتارجح بين نقدها والتباهي بماضيه العقائدي الزاهر انذاك.

ان كل فكر او عقيدة لاتنبع من واقعها كحاجة ومتطلبات مجتمعية لها. او نص ديني محتكر التأويل والتفسير , تصنف حسب رئينا بانها ادلجة احادية يقينية ترفض الاخر، فيتساوى هنا المؤدلج العلماني مع المؤدلج الديني.الذين لربما اسائا للعقيدة او الايديوجيا التي ينتمون اليها.

جينات العقل المؤدلج :

علميا ليس هنالك جين يعمل لوحده مالم يتناغم مع جين او اكثر، ورغم ذلك ان بعض الجينات تحفز هرمونات معينة لتؤدي وظيفتها بايعاز جيني محدد ومنظم. ولا يفوتنا ان التأثير البيئي المجتمعي على العقيدة له دور فاعل سنوضحه ادناه:

جين الادلجة يؤثر على المؤدلج اما بتشدده وعناده وذلك عندما ينظم افراز الهرمون بالدماغ وتحديد كمية الدوبامين على الفرد في بيئته الاجتماعية التي يعيشها ويتفاعل معها وينعكس على تعامله الاجتماعي الجمعي سلبا او ايجابا. بمعنى اخر يتناسب التسامح وفهم الاخر طرديا مع كمية الدوبامين والبروتين والعكس صحيح .

البيئة الاجتماعية وشعور المؤدلج ان يقينياته باتت غير نافعه بنشوء وعي مجتمعي اخر.. يضطرب جين المزاج ليؤثر على سلوك المؤدلج في ثانيا اعلاه ويعكس اما تغير مفاجئ مضطرب مع بيئته الرافضة ليقينياته او ينفعل عاطفيا ويتحول الى شخص فوضوي لايعرف مايريد وتتارجح فوضويته اللامنضبطة بين العنف ضد الاخر، او يسلك سلوك التجريح المهين في معتقد الاخر.

اضطراب المؤدلج يعتمد بشكل قوي على صحة وسلامة جين المزاج وجين الادلجة المتناغميين مع البيئة المجتمعية التي تتعامل مع المؤدلج كفرد بغض النظرعما يحمل من افكار بل اصبح الهم المجتمعي هو كيف يتصرف المؤدلج ومايقدمه لمجتمعه الذي بات لايعنيه الفكر اي فكر حتى الديني منه ... فالجميع فقد مصداقيته التي كانت شعارات ملئتها اتربة الخراب. وهذا ما يؤرق المؤدلج فيجعله حسودا غيورا لايرضى الا على نفسه تسود تصرفاته الانا الحتمية وسببه جين المزاج الذي شكل احباطا كبديل للفرح والبهجة ..فيتحول الى نرجسي مجروح يحاول عبثا ان يثبت سلامة انويته المنفعلة عاطفيا .

رابعا:

جين المزاج :

الرمز العلمي: Mood gene (5- HTTLPR,HTT-5)

للبيئة ومحيط العمل والجو العام مت التعامل المجتمعي في سوق العمل اي كان . يعتبر محفزا لجين المزاج . قد يتعكر او يتحسن المزاج حسب تلك الظروف المعاشة . حتى الضوضاء وزحمة المرور ودرجات الحرارة المرتفعة في بلداننا تؤثر بشكل مباشر على رد الفعل وسرعة الانفعالات الغير منضبطة بسبب ذلك اضافة لجينات المزاج. حتى التهميش السياسي والاستبداد السلطوي اي كان مصدره هو عامل يستفز جيناتنا المزاجية , لتعطي احيانا كثيرة ردة فعل , مايمكن ان نسميها بالعواطف الشرسة.

خامسا:

جين السلوك العدائي في المجتمع:

الرمز العلمي: MAOA, MAOA-L

من خلال الابحاث الميدانية والمختبرية حول جين سلوك العنف بانواعه المتعددة . ومنها بل واهمها هي جين السلوك المعادي للمجتمع. والذي يتحول من خلال البيئة والمحيط بمؤثراته السلبية , كعدم انسجام العائلة, وضغوط الحياة المعاشية , وعدم توفر فرص الحياة العادية والامنة . يتأصل هذا الجين ويتسع بي الناس . في امكن عدة من مناطقنا وافريقيا واوربا وبقية بقاع الارض . واشارت الدراسة الميدانية ان حوالي 40% من السكان مصابون بهذا الجين , ولكن بنسب متفاوته جدا . تعتمد على النشأة والتربية والثقافة المجتمعية والجغرافية. ويحاول الباحثو ن تحجيم العنف الفعلي واستخداماته ضد الاخرين بالمجتمع.

ان احد عناصر تنمية وتقوية واتساع العنف الجيني هو تناغم بين جينات وهرمونات اخرى كالقلق والخوف وبقية الامراض كانفصام الشخصية وغيرها. الانعزال عن الحياة الاجتماعية لكثير من الافراد, وتحشيدهم بمعلومات يقينية لاتقبل الحوار والجدال مع الاخرين . هي مانراه من اسائات لجميع المعتقدات المتسامحة في مبادئها . الا ان هنالك اطراف اما نها تعاني من حياة اقتصادية خانقة يحتضنها من له اهداف . او اطراف اخرى تهويلية في ماتعتقد من عقائد كفصيل افضل من غيره وعلى الاخرين اما ان ينصاعوا لمعتقده او تكون وسيلتهم العنف ضد المجتمع او الاخر اي كان .

سادسا :

جين الكآ بة والحزن

الرمز العلمي: 5-HTT

تناغم جين المزاج عندما يتعكر باسباب ذكرناها اعلاه تتناغم هرمونيا وخلال الناقل العصبي , يتعاظم المزاج ليكون الحزن والكآبة هي السلوك المؤثر في الانفعالات وردود الافعال الغير منضبطة . اي وهذا مانلمسه في التناقض السلوكي بين عواطف جياشة

متسامحة وفجأة تتحول الى عواطف شرسة هدمية عندما يكون السوء البيئي محفزا لجين المزاج ليتناغم بايو لوجيا في الجينيوم البشري ليكون الحزن مشاعا في مناطق دون اخرى .

في ساسيولوجيا المجتمع يمكن ان يكون المزاج والحزن وتناغمهمامع جين العنف المجتمعي كلها تلعب دورا اساسيا وجوهريا في السلوك من منظور علمي بحثي . يميز مجتمع دون اخر . التعليم وثقافة المجتمع وطبيعة المكان الجغرافي هي مؤثرات , لها دور فاعل في تشخيص ومعالجة الازمات التي تعرقل شيوع الامن المجتمعي من نوازع تقترب لامراض مزمنة تصيب المجتمع . وفي العراق ماعاناه المجتمع العراقي من كوارث الحروب الخارجية والاحتلال ودخول داعش و حواضنها . هو احد النقاط الضعيفة في بنية المجتمع العراقي.

سابعا :

جين الشراسة والقساوة:

الرمز العلمي : AVPR1a

عندما نرث هذا الجين فهو يتناغم مع الطبيعة والبيئة المعاشة . وعادة مايتحول هذا الجين (من خلال الدراسات العملية , على الجينيوم البشري) وجد انه يتحول عند الزعماء والقادة الذين يحملون هذا الجين الى حكام , ديكتاتورين , قساة وشرسون , كما في صدام وموسليني وهتلر . وبعض من لم تكتشف فحوصاتهم البايولوجية. ومن الغريب ان هؤلاء يتصفون بالكرم والسخاء , عندما يرغبون بذلك ومن خلال النقاشات البينية مع المختصين اعلموني بان هذا الجين ينقل من الام ولكن لاتحمله ولا تتصف بصفاته, بل هي ناقلته لاحاملته

يمكن ان نتصور حجم الكارثة الاجتماعية , عندما تلتقي هذه الجينات الوارده في اعلاة بمجاميع من الافراد داخل المجتمع . وقد يتسلمون مهام حكومية او امنية او يشتغلون في مواقع سياسية قيادية!! كم ستكون العواقب الوخيمة التي يتركونها ضمن الروابط الاجتماعية داخل المجتمع . من الخوف والقلق وتوقع الانفعالات المفاجئة ضد الاخرين.اضف لذلك ان جين الدكتاتورية يتناغم سوية مع جين الشراسة والقساوة.

لذلك تسعى دوائر الابحاث العلمية للتعرف على سايكولوجية الافراد وحالاتهم النفسية والاضطرابات المفاجئة من خلال تذبذب العواطف الغير منضطة بين الاشخاص

ضمن اطار اعمالهم المهنية او في العلاقات العامة في الاماكن الحساسة . ان اهمية تقيم بل وتقليل تاثير السلوك الجيني السلبي الموروث . وذلك من خلال تحسين البيئة المعاشة وتاهيل الثقافة المجتمعية لكي يسودها التسامح وحب الاخر وتعميق منظومة القيم الاخلاقية في المجتمع.

وعندما يكون جين الريادة اي القيادة كما ورد في كتاب : صناعة القادة . (راجع المصدر ضمن موقع المؤلف) . هو الاخر يسمح ان يتصدر الفرد بمايملك من كارزما تؤهله للقيادة . وثقافة المكان ومدى صناعة الوعي الاستبدادي او التسامحي في مجمل التاثيرات الاجتماعية . النزاعات وكيفية حلها ضمن اطر الانضباط القانوني, او اتباع اساليب الفصل العشائري كخيار يضاف لخيار العنف ورفض الراي الاخر . من منطلق الاستقواء بالمكان او الاصولية القبائلية.

الفصل الثالث عشر

المكتسب من الطبيعة الجغرافية

ثقافة المكان تُغير الاشخاص,وتكشفهم عن حقيقتهم

لايحق لاي كاتب او باحث في العلوم الاجتماعية والجغرافية او العامة. ان يصنف سكان الامكنة المختلفة تصنيفا عرقيا او مذهبيا ويبنى من تلكم الانتماءات اختلاف السلوك بين بني البشر. بل الاهم ان لاتكون رؤياه من منطلقات ضدية ,لاتنتمي لمصداقية الباحث في رسم اطر مايريد ان يبحثه في مثل هكذا مواضيع حساسة . ومن البديهيات , ان جميع البشر متساون في حق العيش والمعتقد وتحقيق الاماني والاهداف التي يسعى اليها ويضحي من اجل تحقيقها كسكان او شعب يمتلك مقومات تقرير مصيره.

الامكنة وثقافاتها السلوكية:

اولا : السلوكيات الجبلية :

الجبال وتضاريسها وقممها تشكل بيئة لايعيشها الا اهلها. ورغم ان تنوع الجبال وبعدها عن المدن احيانا.تؤسس لحماية سكانها من خلال بعدها عن سلطة القانون. ومن خلال صعوبة المواصلات والتواصل بين قرى الجبال وبين عاصمة المرز الذي يمثل القانون والدولة, مركز السلطات الحكومية كراعي للسكان بمختلف تنواعتهم العرقية او العقائدية, والمسؤولة عن تنفيذ القوانين.

ان صناعة السلوك البيئي يعتبر جينا مكتسبا من بيئته , اي جينا صناعيا تتراكم سلوكيات الاجيال وتصبح جزءا من عاداته او من تصرفاته الشخصية على مستوى التصرف والسلوك والتعامل مع المركز –السلطة – القانون.وبذلك وبشموخ الجبال واسرارها التضاريسية والتي يصعب الوصول اليها الا لمن عاشها وتمرس على تلكم التضاريس.

فيصبح الشخص الجبلي متعملق تلقائيا ظانا انه قرين مع عملقة الجبال . بالاخص ان كان ضد المركز المديني كسلطة تمثل القانون.

نتناول الموضوع من الجانب الجغرافي ومدى تاثيره انثروبولوجيا على الشخصية الجبلية في اي مكان. فهي شخصية تادلجت بجغرافيتها وتعيش فضاءات البعد عن تنفيذ القانون والخدمة العسكرية . وكثيرا ماتصبح الجبال ملاذا امنا للخارجين عن القانون , وبؤر منفلته , عاصية وهاربة عن تنفيذ الاحكام القانونية بحق المخالفين .

بايولوجيا اعالي الجبال تقلل من نسبة الدوبامين في الدماغ وهذا بدوره يسبب الاضطراب والقلق وفقدان الثقة من الاخرين الذين لاينتمون لقبائلهم.اضافة الى انه يؤثر على بعث روح البهجة , ويعم المجتمع مبتهجا رغم كل الظروف والصعاب التي يعاني منها . اضافة الى البيئة والتعملق بثنائية حمل السلاح ووتعملق الجبال . فتتكون عواطف بيئية شرسة وعنيدة بما تعتقده . وتبقى عصية على كل مايقدم لها استرضاء لغرض دمجها ضمن الاطر القانونية او الدستورية . ومن خلال العواطف الاستقوائية بقوة جبالها . يستمر نشاطها التمردي لان القبائل الجبلية حتى فيما بينها تضطر بين فترة واخرى في ان تتنازع من اجل السطوة على المكان والموارد. فما بالك ان تدخلت السياسة والمصالح الخارجية في تكوينة الانسجام المجتمعي بينها وبين بقية الهويات الاخرى.لانها تثقف من اجل الادلجة الجغرافية ان تجعل سكان المدن والسلطة اعداء ومتهمون في كوارث مناطقهم التي ترفض الهوية الرئيسية للمجتمع بل تركز في احادية الولاء والانتماء للرمز العشائري وللارض التي رمزها الاخر هو الجبل . وتتقوقع في عرقيتها الجبلية المنعزلة . مما يؤطر لتاريخ بلا حضارة . بل اسست لقبائلية التعايش والانسجام فيما بينها . ويمكن تلخيص صفات الشخصية الجبلية كما نراها:

الجبال هي بيئة مجتمعية ثقافية نكتسبها من خلال التعايش معها بما تملك من عادات وتقاليد وملبس ولغة خاصة باقوامها . وعادة ما تكون بعيدة عن مراكز المدن.فسكانها قبائل منسجمة او مختلفة حسب ماتمتلكه من وعي وعقل جمعي . بايولوجيا تمتاز عن غيرها بما يلي:

1.في اعالي الجبال تقل نسب الدوبامين الذي يؤثر على السلوك , مما يؤدي الى قلق واضطراب في التعامل مع الاخر .

2. الشخصية الجبلية عادة ما تمتلك جين العناد الذي يسبب في سلوك العواطف العدائية والشرسة احيانا.اضافة الى الوفاء والاخلاص الذي يعتبر جزءا جوهريا في اخلاقهم.

3.الابتعاد عن سلطة القانون والمركز والاختباء بدهاليز الجبال وكهوفها يؤدي الى الغلو في قدرة الشخص ويتناغم متباهيا بشموخ الجبال مما يؤدي الى خداع الذات المكاني مقارنة مع واقع المجتمع ككل.

4.غالبا ما تتكون شخصيات مغلقة في تواصلها القبلي , ويكون رئيس القبيلة رمزا يقترب من التقديس. لقلة الملاذات الامنة امام القانون ولبعدها عن سلطات المركز.

5. مما ورد اعلاه يمكن ان تكون الانا في الاستحواذ على مايمكن ان يكون ضمن مساحات المكان جزءا من ثقافة مكتسبة تفصل بين الدولة كعدو وبين الفرد والقبيلة كعنصر معارض ومضاد للدولة.

6.وبالنظر لطيبة وبساطة المجتمع عموما , وافتقاره للتعليم . يتم بسهولة انقياده من قبل ساسته الذين استخدموا القومية المسيسة لاغراض رموز القبائل مما يؤدي الى تضحيات من قبل غالبية المجتمع المسالم والذي يمتلك مروءة التايد والانتماء لتلكم الرموز بشكل عفوي لايعرفون ابعاده وتباعاته.

7. انقطاع التواصل بين مركز الدولة وتعمية الجمهور من قبل اطراف متعصبة واصولية . سبب انقطاع جيلي بين اجيال تفاعلت وقدمت للدولة المركزية خدمات وابداعات وتضحيات كهوية جبلية امتزجت مع الهويات الرئيسية الاخرى. هذا الانقطاع بين ماقبله من جيل كان تحشيدا بالضد من الكل امام الجزء المتقوقع لاسباب لاتخدم الا اغراض خارج الاطار الوطني الجامع لكل الهويات.

8. سكان الجبال في شمال العراق , رغم اغلبيتها الطيبة والمتسامحة والمحبة للتعايش مع الاخرين والتي تمتلك تاريخا مسالما.لكن اجندة بعض سياسيها اعتمدت على الاطر السياسية ذات المنافع القبلية المختلفة عن محيط سكان جبال تركيا وسوريا وايران.مما سمح لبيئات دكتاتورية جمعت فيها ثقافة الاستحواذ في ما حصلت عليه هو حق مشروع كان ضائعا.

9. غالبا مايكون المجتمع مجتمعا احتفاليا بهيجا بتقاليد الوانه الزاهية وطريقة الفرح والغناء بطبقات نبرات الصوت المتعالي لطبيعة الارض الجبلية التي تتعالى مع تعالي طبقات الصوت المغنى. والطبيعة الخضراء جبالا وسهولا وطبيعة الطقس والغذاء كلها تساعد في الطمأ نينة والاستقرار والشعور بالرضى رغم مامرت به من المآسي.

10. جبنات العناد المكتسبة من الموروث والبيئة –البيئة التي تعاند الطبيعة التي هي الجبلية . تصنع ثقافة العناد المكاني الذي يؤسس لثقافة مختلفة نوعما عن بقية الثقافات السلوكية مقارنة بثقافة الجبال واهمها:

آ. تكوين مواقف مسبقة انية منفعلة .

ب.العناد المكتسب يؤدي الى عواطف عنفية لفظا وممارسة.

ج. الشعور بالذات المهمشة والمستهدفة بسبب الانتماء العرقي .

ع. كل ذلك يؤدي الى الاحساس بالانا للحفاظ على الذات المهددة وهميا من الاخر.

ثانيا : السلوكيات البدوية :

الكثير تناول البداوة وماتمتلكه من مقومات لمنظومة القيم الراسخة في تقاليدها . الا ان طبيعة الجغرافية في البادية والصحراء هي الاخرى صنعت سلوكيات مختلفة عن غيرها من الجغرافيات . التنقل الموسمي , وشحة الامطار وبعد بعض البوادي عن الانهار . جعل الشخصية البدوية التي تعتاش على غزو ممتلكات الاخرين نوع من الشجاعة والرجولة لاثبات قوة الهيمنة والسيطرة . وترك الانطباع على ان رئيس القبيلة هو ملك البادية برجاله وصرامته وعزم ابناءه وابناء عمومته . فتكونت لديهم العصبية القبلية كجزء من الشهامة والرجولة بمروؤتها .

قيام بعض من رجالات البادية بالعمل داخل المدينة بعيدا عن جو الصحراء والترحال. وكثيرون وجدوا فرصا للعمل وتكونت هجرات كبيرة الى داخل المدنة الحضرية. فاصبح النسيج المجتمعي خليطا داخل المدينة –العاصمة . والبعض الاخر اصبح وبمرور الزمن ودخول المنظومات العسكرية وتسلم زمام المبادرات في المعسكرات للتخطيط لانقلابات عسكرية . كانت نتائجها حكم البادية بكل ماتملك من صفات الى مركز التحضر المديني. تلبست المدينة لباس البادية عنوة وتحت قوة السلاح. من هنا فان تغير النسيج المجتمعي , يصبح مبعثرا بين اللا انسجام في التعاطي بين ثقافة واخرى. السلوك الانوي السادي الحازم الذي يحمل الثقافة القبلية المتعالية . هو احد اهم الاسباب الجوهرية في نمو عادة البيئة البدوية مع تناغم ونمو بقايا جينات مزاجية وجينات العنف والشراسة الموروثة في احيان كثيرة.

اهم الصفات العامة :

1 . تمتلك صفات البيئة القاسية التي لها تاثير على قساوة السلوك . وهو جين صنعته الطبيعة.

2. ثقافة الغالب جزء من شجاعتها التي اصلتها بيئتها من اجل البقاء.

3.جنوسة الدماغ اي الهوية الذكورية تاصلت منذ النشاءة .واصبح الفصل في امكنة العيش وحواجب الجنوسة بين المراءة والرجل , جزء اساس لهيمنة الذكورية على عطاء الانوثة.

4.امتلاك ثقافات الاستحواذ والتملك بسبب تقلب الطبيعة وجفافها , والتنقل احيانا لاسباب عديدة.

5. عشائرية كالجبلية لكنها رئاسية حازمة في تاكيد وجودها كاعراف تعتبر مخالفاتها خرقا للقيم التي قد تختلط بين التشريع والاعراف.

6. كثير من الصفات السادية في تعاملاتها مع محيط مختلف وغريب عليها عندما تقتضي العيش في امكنة تحاول استملاك سطوتها, والتلذذ باذى الاخر.

7. احد اسوء ممارساتها عندما تهيمن سياسيا على مرافق السلطة . فتعلو مصالح المكانية على مصالح عامة الناس.

8.تخلخل النسيج المجتمعي العام بسبب الفوارق بين ثقافات المدينة وثقافة البداوة . فيصعب الانسجام والتفاهم , لشيوع الشعور بالغربة المكانية لكل طرف .

9. الزهو والمخيلة في امتلاك التراث الاصيل الخالي من العيوب. وهذا مايجعل صفة الغرور والتباهي والافضليات عن غيرها في المجتمع.

10. الفروسية وامجاد تاريخها ,وصبر الجمال كان ومازال ثقافة تعالت عن ثقافات المعرفة والتعليم.

ثالثا : السلوكيات المتريفة :

ثلاث اماكن تحددها الشخصية المتريفة التي تعتمد على الزراعة وعلى الصيد , اسماكا وطيور والمجاورة للاهوار , وعلى الشخصيات المتاخمة للانهر وضفافها والتي تناولناها في فصولنا السابقة.

عادة ما تعيش هذه الشخصيات في سهول واراضي منبسطة . في متناول السلطات الحاكمة عكس الاختباء بين تضاريس الجبال وبعدها عن المركز. هذه الشخصيات التي نشأ ت على اراضيها حضارات واساطير مازالت تعتاش على وعي جمعي له ارث حزين بين سلطات الطبيعة المتقلبة وبين التهميش الذي ساد مناطقهم. فتاسس لديهم ماكان يمارس من حزن سومري الى حزن معصرن يربط بين حزن سومر وحزن الطف. ولهدوء الطبيعة الزراعية بمائها وطبيعتها وماتحمل من معاناة فرضتها ادلوجات التناقض بين الحاكم وبين سكان المكان . اصبح لديهم الحزن الجنائزي جزءا من اللحن المغنى في افراح هذه المناطق . تحمل حزنا فيه ظلم الماضي وظلم الحاضر. فاسس ذلك لثقافة المظلومية التي تتميز بها

الشخصية المتريفة العراقية. اضف الى سكان الاهوار وما يتمتعون فيه من طبيعة تناغمت مع مايجاور اهلها من ريف زراعي رغم تباين ثقافاتهما, ولو بقليل.

ان سلطة الدين والعشيرة كمرجعيات تكمل بعضها البعض في هذه المناطق. ولاء السكان هو ولاءات المرجعيات الدينية والعشائرية. لغياب الدولة عن اي رعاية للمناطق و كردة افعال للتهميش القسري الذي مارسته السلطات الحاكمة. اضف لذلك الانتفاضات التي عادة ماتكون فراتية المنشأ – كما ورد سابقا – وسهولة وصول سلطة المركز وسطوتها العنفية . اضافة لثقافة المظلوم المتزامنة مع ثقافة التقية المتبعة حيثما اريد منها ان تكون تقية من الظلم والمهلكة .

من كل ذلك كانت ومازالت الشخصيات هنا تمثل سكان بتنظيمات متعددة متناثرة يملئها الخوف وتشعر انها مستهدفة على الدوام. فالتقية استبدلت بالمداهنة والمجاملات االتي تقلل من انسانية الانسان وباسليب التوسل وبوس الايادي عند الحاجة لاي مساعدة او عون لهذه الشخصية. مهمشة همشت ذاتها قبل شخصيتها. وستظل كذلك بلا حقوق ولاتوجد مرجعيات اي كانت تلبي حاجات وفك حصار ثقافة التلذذ بالاذى. حتى وهي تمارس مسؤولياتها في السلطات العليا كساسة تمثل طوائفها الا انها مازالت خنوعة انانية غير مؤتمنة على ارث الماضي ومكاسب الحاضر المنهوبة.

اهم الصفات العامة:

1.عفوية فطرية عاطفية باكية ومستنجدة.

2. مستضعفة خانعة وخائفة .مهمشة وغاضبة

3.ثائرة معارضة بالضد من الدولة.

4. تتمتع باكثر من ثنائية في تعاملاتها بين الاضطراب وقلق الذات المبرر واللامبرر.

5. معارضة ومحاججة .متناقضة بين المقدس والمدنس .

6.وطنية الولاء عشائرية الانتماء دينية الهوى .

7.تستلهم ثقافتها من :

آ. من الواقعة المكانية لمأساة الطف .وقربها منها كتاريخ وحدث يؤرقها اينما تكون.

ب. تعايشها في امكنة الحضارة السومرية . وتاريخها على طريقة العيش السكانية – الاهوار –مثالا

ج.بدائية الموارد وتبيئة المكان والغذاء , انتج التنميط والسكون في طرق الحياة المحدودة.

ع.الفرح الجنائزي واطوار الشعر المناطقي الملحون والمغنى , سمة واضحة للسكان.

رابعا: الشخصية المدينية:

عندما يهاجر اهل الجبال والبوادي والارياف الى مركز المدينة –العاصمة – بكل ماتحمل من ارث حضاري وتاريخ عريق . تتجانس فيه كل الاعراق الاخرى وتتعايش ضمن اطر القوانين واسلطة الدولة ودستورها . ليكون الضمانة لتعايش اليهودي والاشوري والمسلم والمندائي والايزيدي والكردي والتركماني والفيلي ومن له اصول هندية او تركية او افغانية او داغستانية وبمناصب في الدولة العراقية. لم تفتش بغداد عن انتساب هؤلاء الاقوام واسم عشيرتهم ومن اي فخذ ينتمون؟؟.

الا عندما كان الحاكم خليطا هجينا بين البداوة وهي تمارس السياسة الدولية دفعة واحدة .وبين حكم المدينة العريقة بغداد , تفلش النسيج المجتمعي الذي كان منسجما متعايشا اقتصاديا واجتماعيا . طبقته المتوسطة تمثل عشرون بالمائة من مجموع السكان ووزير مالية الدولة يهودي احرص من اي من الملل الاخرى. وكان المندائيون منارة الالق الذهبي في شارع النهر وادق مهن الزخرفة في صياغة المصوغات الذهبية. وخيرات العسل ومحاصيل الجبال ونزاهة وحراسة الكردي لاغنى مخازن المواد في العاصمة هو عنوان لايفرق بين هوية دون اخرى.

عندما تكون الهجرات الغير منظمة بابا من ابواب التخريب . يضيع الماضي والحاضر والمستقبل . ضمن اللاتخطيط في كل مناحي الحياه. فتصبح الهجرة المعاكسة هي الفراغ الحتمي للوعي المديني وثقافته وارثه ولغته واناقة ذوقه الموسيقي والمسرحي والفني. ولاتعلو في العاصمة الا من انت والى من تنتمي ؟ هذه الثقافة التي حملتها البداوة وسلطة الحاكم الجاهل الذي ينتمي لضيق الافق الثقافي المكاني.

ليس لدينا تصنيف حقيقي للمدينة اي المركز او العاصمة لان الهجرات قلبت بشكل ملموس جوهر الانسجام المديني – الحضري في السلوكيا ت والتعاملات بين طبقات المجتمع.

اهم صفات الشخصية المدينية:

1.انتهازية متقلبة المصالح والمنافع الانانية . كلما اقتربت عن مصادر المال والجاه.

2.متباهية بالمظاهر وما يشاهده الاخرين.

3.منظومة قيمها بمفاهيم تختلف عن بقية الامكنة.

4.المحسوبيات واقنعة المداهنات هي السائدة في مجتمعاتنا المدينية.

5.مصالح الافراد تعلو عن مصالح المجتمع.وتدافع الاستحواذ منافسة يومية تمثل جزءا من العمل.

خامسا :شخصية المدن الدينية

هي شخصيات خليطة بين الاضرحة التي بها رموز تاريخية ودينية تمتلك روحية المكان وتؤطر منه ملامح الذاكرة التاريخية . وبين اروقة طلبة الدراسات المتخصصة في الفقه والشريعة . وغالبا ما تكون المقابر ضمن المدن الدينية.مما يعكس ترادفية المعنى في اقتران رمزية الضريح ومحاولات المخيلة الشعبية في جعل المقابر قريبة او ضمن المدن الدينية.تاسيسا لشفاعة الصالحين او لقدسية المكان وترابه.

ومن اهم صفات هذه الشخصيات:

1.كثير من هذه الشخصيات تكون مداهنة على حساب المبادئ التي يمثلها المكان بازدواجيته كاضرحة وقبور اموات تملأ ساحات واسعة.

2.خلطت بين المنتهي من الموتى التي تستقر في قبورها يوميا مارة بوسط المدينة واضرحتها . وبين رمزية الاضرحة ان لم نقل قدسيتها . فاصبح سلوكها مركب – اكثر من مزدوج – فهي تنتمي الى خداع ذاتها في انها جزء من هذا الخليط التقي الزاهد والشاخص في الضريح لكل الزائرين. وبين اسراب الاكفان في الدنيا الفانية و لتستقر في مثواها. وهي مستعدة لان تشرعن لاي عمل يحقق مصالحها الانانية على حساب الاخرين, اتخذت من الاكفان عبرة لها ولم تتعض بزهد وعفة الضريح.

3.اعتبرت المراسيم والطقوس منافع للكسب , واستغفلت العقل الجمعي لتحقيق مكاسبها.لم تستطع تثوير الوعي من محورية ورسالات من في داخل الاضرحة, بل ساهمت في تزين ظواهر الاضرحة دون تعميق مبادئ ورسالات من هو داخل الضريح كرمز للاصلح .

4. هنالك اختلافات في السلوك والوعي بين شخصيات خنعت وتلذذت في اذى ذاتها وتعتبره جزء من طقوس العبادة والتقرب. وهنالك بمدن اخرى لها رمزية دينية في الصالح من في الضريح, لكنها رافضة لاي اذى يصيبها. يمكن تحليل ذلك السلوك والتصرف بما يلي:

آ. اضطهاد السلطات وقساوة التعامل وتهميش سكان هذا الضريح بعينه جعل التقية , والتلذذ بالاذى

احد وسائل الحماية المفقودة من قبل الدولة.اضافة للارث التاريخي في الفرات وما جرى عليه وفيه.

ب.قرب سكان الضريح الاخر من السلطات جعلها جزءا من السلطة وماتمتلكه من انتماءات .فلها سلطة الانتماء ومكانة الضريح وابتعادها عن اكفان الموتى . كل ذلك شكل لها شخصية مختلفة عن غيرها. اضافة الى وجودها على ضفاف دجلة نهر السلطات السياسية .

سادسا : الشخصية العشوائية

مجاميع سكانية خليطة لاتنتمي لامكنتها , بل اسست لنفسها تجمعات في تخوم ومحيط المدن السكانية. سرعان ما تتآلف فيما بينها وتشكل حزاما من مفاهيم الرفض في التغير والتجديد , وتعتبر انها الاكثر تهميشا واهمالا من قبل الدولة . هذه المجاميع الاقل تعليما والاكثر فقرا , منتشرة في معظم البلدان بكثافات سكانية كبيرة. باغلبية لاعمل لها الا من خلال البعض المتسول

ومن اهم صفاتها مايلي:

1.عدائية ليس لديها اشياء تفقدها . بعد ان فقدت الحماية من الدولة والمجتمع.

2.قلقة غير مستقرة خائفة من اجبارها على التخلي عن امكنتها الغير شرعية.

3. تعمل اي شئ من اجل بقائها , متعاضدة ومتعاونة فيما بينها , سيما ان كان ذلك في رفض تنفيذ القانون.

4. متوسلة وعنيدة من اجل البقاء في امكنتها رغم ردائة العيش لان بدائلها هي الاسوء.

5. شرائح تدل على الخراب المجتمعي الذي جعل التمايز الطبقي مشاعا وعاديا وفقدان الحماية الاجتماعية من الدولة.

6. مفهوم المواطنة يعني لها لقمة العيش والسكن , واجباتها تؤديها بلا حقوق تاخذها من الدولة والمجتمع.

سابعا : الشخصية المُسيسّة

لم نتناول بقية الشرائح او الطبقات الاخرى في المجتمع لان الطبقات السياسية والشخصية السياسية هي الشخصية المهنية التي تستطيع ان تحرك جميع الفئات في المجتمع من خلا ل اجهزة الدولة واروقتها كتنظيم اجتماعي وثقافي واقتصادي يحرك جميع الطبقات من خلال التخطيط الاستراتيجي في مسارات الدولة والمجتمع.

والمسيسة هي سياسية الواجهة لكنها تجهل اهمية السياسي في ادارة العلاقات الاجتماعية وتحفيز بقية الطبقات العاملة معه لخدمة المجتمع بكل اطيافه. بل هي شخصية تملك ادلوجات عاطفية منفعلة وانانية.

الا ان هذه الشخصيات التي تحكمُ, قد اخفقت في معرفة علوم المجتمع وحاجاته الضامنة لامنه القومي وفق منظور قاصر عن رؤية واستشراف المستقبل لعدم كفائة هذه الشرائح وفقرها المعرفي في بناء دولة الانسان كبقية الدول المتحضرة ضمن المنظور الساسيولوجي الفعال.

من اهم صفات هذه الشخصيات :

1. لاتمتلك مفاهيم ومعاني المسؤولية الاخلاقية .
2. فقرها في علم الادارة الاجتماعية لفشلها في تقليص الفوارق بين الناس.
3. ادلوجاتها هي الطاغية على المصلحة العامة.
4. فقدان الكارزما القيادية في جميع الانشطة التي تستقطب الجمهور.
5. خطاباتها انفعالية منحازة لانتمائاتها غير مكترثة لاهمية التآخي المجتمعي.
6. غير امينة و تفتقد للضمير الانساني .
7. انانيتها السفلى حجبت عنها التعرف على معاناة من تحكم.
8. معارضة لذاتها ومنعزلة عن جمهورها العام وقريبة لانتمائاتها الحزبية والفئويةوالمذهبية.
9. غير صادقة في خطاباتها مع الجمهور لانها تجهل كيفية تطبيق وعودها للناس.
10. الشخص المناسب في المكان المناسب شعار لايفهمه او يطبقة ساستنا.
11. سمة الكذب وفقدان الخجل او مفهوم العيب الاجتماعي غاب عن اروقتهم الرسمية والخاصة.
12. يشكلون كوارث مجتمعية واقتصادية منذ تاسيس الدولة او السلطات العائلية الحاكمة في منطقتنا.
13. خبراء واكفاء في تعميق الفوارق بين افراد المجتمع.
14. ليس للمال العام والوقت قيمة لديهم قدر تعلق الامر فيما يكسبون.
15. احد اسوء الشرائح المجتمعية الذي عرفها التراث الوطني.
16. معظم نكساتنا وكوارثنا من سوء ادارتها للازمات التي مرت وتمر بالبلاد.
17. هدفهم استبعاد الكفاءات العلمية والتخصصية بسبب المحاصصات القاتلة لمؤسسات الدولة.
18. تعمية المجتمع وشيوع الامية والجهل وفقدان برامج التنمية البشرية .
19. تدعي الايمان بانتمائاتها راكبة, انتمائاتها وصولا لمصالحها الذاتية.
20. تستهلكها السلطة وتاكلها الوجاهة والمال , ولا تعلم متى يتم تقيئها.

الفصل الرابع عشر

احقا نحن هكذا كعراقيين؟

تعدد الامكنة باخلاقياتها الجغرافية واختلاف المعتقدات والاعراق والمصالح والغش والتزيف والكذب كل هذه الصفات صنعتها الامكنة والموروث والتربية فيه متفرقة لتجتمع وتنتج واقعنا العراقي المرير اقتبس منشوري حول الموضوع لاضعه في هذا الفصل الاخير الذي كتبت فيه:

عجبت من العراقين وانا منهم, سلوكهم الباهت سلوك طفل يتيم بلا اب وام واقرباء.
واحيانا كانه غريب يعيش متاهات الغربة ووحشة الوطن والاهل والاحبة.
يتصرف كانه اسير ينتظر تبادل اسرى اخرين به وباخوانه .
هل فقدنا جيناتنا الوراثية التي دائما نتباهى فخورين بها من ارث وحضارة.
ماذا جرى ؟؟ مابكم ؟ تسيرون كالموتى بين مقابر الاحياء؟
تُؤكّلون ويقرؤون عليكم سورة الفاتحة وبلا منكر ونكير. دفانكم ماكر وسافل وانتم تتفرجون.
مالذي حدث يا ابناء قحطان وعدنان والقعقاع. ياورثة الانبياء والصالحين؟
اين منا وصرخة وامعتصماه الذي لبى نداء ارملة؟
لانريد معصوما بيننا بل نحن بامس الحاجة لمعتصماه.قائدا عراقيا فيه شهامة واباء العراق كله.
وهل كان حقا كلكامش بارضنا ؟ وحضارة سومر في اهوار المنتفگ؟
واحسرتاه أتستحقون كل هذه المهانات ؟ يااابناء عمر الفاروق وعلي بن ابي طالب.
وهل حقا تنطبق علينا كيفما تكونوا يولى عليكم؟
نحن في حفلة تنكرية لانعرف راسها من اساسها, نتلمس وجودنا و نحتاج من يدلي علينا.
كلٌ يرتدي قناع له , عمامته وبدلته لحيته وجبينه الملچوع من جمرات الكذب والدجل.
ومحابس التقوى والبخت والرزق الحرام.ودعاة العلمانية منهم, بياخات بيضاء وقبعات زرقاء.
حفلة تنكرية تحتال على كل القيم والاخلاق .
ونحن بها بلا قناع برائتنا براءة طفل ضائع لاحول له ولاقوة .
نعيش مهازلنا الكارثية بنكتة وكاركتير, نصنعها بديلا لصناعة انتفاضة وثورة تقلب اسفلهم اعلاهم. حدودنا اقفاص . طعامنا لفة فلافل ناقصة بالتموينية المهينة لكرامة الانسان . رواتب اصبحت جزء من ارهاب سلطة فاسدة .
عمليات ترويض سايكولوجي لتقبل الصدمات الاجتماعية الممنهجة والعادية .ارتطمت بالمجتمع وعلى مراحل وازمنة .وبشكل مدروس ومخطط له من جهات متمرسة في احباط

الارادات الممكنة وتغيرها الى تمنيات مستحيلة التحقق.محيطها لايتعدى الاحباط والياس المزمن .لكي يعاد صناعتنا من جديد خارج منظومة الانسنة .
لكن دائما تنهض البراءة وتنتصر ويصبح اليتم ثائرا منتفضا يغير معالم الماسي والكوارث والخراب
وتتغير المعادلة فهو شان تاريخي لابد منه فارادة الاخيار دائما تنتصر على من لا ارادة له

الخلاصة

كلما يتنامى الوعي المجتمعي ., الذي هو اساس البنى التحتية لبناء الدولة , دولة الانسان ودولة المجتمع, ودولة الجغرافية المتحضرة . عندما يكون الوعي الثقافي المكاني والوعي العام ناضجا . بالتاكيد تكون خيارات المجتمع اكثر نضجا . مما هو عليه عندما يتدنى الوعي العام. وكلما يتعمق الالم كلما تتسرع وتائر الاستنهاض .

اختيار الحاكم الجيد الذي يمتلك مقومات الشخصية القيادية . بكارزما فعاله تلهم الجماهير وتنمي انتمائها الوطني . كأولوية على الانتماءات والولاءات الاخرى . ذلك يتم ضمن برامج تخطيطية تؤهل المجتمع . وتصنع له وعيا جديدا متحضرا متعصرنا يلبي حاجاته ومتطلباته في التغير نحو التجديد.

واينما تنضج المجتمعات المكانية المدنية اللامتحزبة , نستطيع ان نبني رأي عام يمثل سلطة اعلامية نزيهة مهنية تنتمي لابنائها وحاجاتهم الملحة . بذلك سنضيف قوة مدنية فاعلة ومؤثرة , يكون رقيبا لنشاطات المؤسسات.

وعندما يكون التعليم واسلوب التدريس لا تلقيني. ويعتمد المنهجية النقدية في التفكير , يتعمق الابداع.

وعندما تشرع القوانين كمرجعيات مجتمعية ضامنة للحقوق والواجبات . يصبح للدولة مركزية قانونية حواضنها المجتمع والقانون .توحد الجغرافيا بكل ماتمتلك من عناصر متعددة ومتنوعة. , فتتجانس مكونات الدولة والوطن , لارتباطهم بمصالح تخدم الجميع

ان تاسيس دراسات تخصصية واسعة وحديثة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا. له اهمية في مواكبة مايستحدث من علوم تؤثر جديا .على سلوك وانسجام المجتمع وتجانسه .
ولابد من تاسيس اقسام جديدة كعلم الاجتماع الجيني وغيره من الاقسام المهمة الاخرى .
لما لعلم الانسان والمجتمع اهمية في تنظيم النسيج المجتمعي بمنهجية علمية. لياخذ كل فرد بالمجمتع دوره الخلاق في مجمل انشطة الدولة والمجتمع , وبلا تميز او تهميش .

هنالك ا المهاجرين الذين اصبحوا خارج الامكنة .ا عتادوا واكتسبوا منها سلوكهم المحلي. معاناتهم في التواصل الاجتماعي والاندماج في البيئة التي مازالوا يعانون منها . اخفاقات في التاقلم والغربة والتقوقع مع الجماعات والاصحاب . شكلّ عزلة مأزومة بالانتماء

والولاء القلق والغير مستقر . يمتلك البعض الانعزالية والاخر يشعر بقلق الانا اي الذات. من تكون واين تصنيفها من حيث الانتماء والولاء واثبات الوجود في مجتمعات الغربة. ويشكل ذلك ادانه مكتسبه من الشعور بمعادات الاخر لهم وشعورهم بالاستهداف . باعذار تخدع النفس لتبرير الفشل في التعايش ببيئة الغرب المختلفة عن بيئته الاصلية. اضف ان الاغتراب شكل عدم الثقة بابن البلد ونفور وحسد او غيرة لمن شغل موقعا كمواطن فيه. المستغرب ان المهاجر اينما يتواصل مع دوائر الهجرة , البعض يكون جاسوسا على ابناء جلدته . امام دوائر الهجرة ليكسب ودهم متوهما انه سيحصل على اقامته اسرع من الاخرين. هذا السلوك يصعب وصفه الا بدونية التربية العائلية السيئة. ويمارسون كل انواع التحايل كالطلاق الكاذب , ليستلم اكثر من راتب او التمارض ليحصل على تقاعد صحي. كل هذه الممارسات تعتبر ضمن محاولات الشيطنة والكذب والغش. في اطار الخوف الذي عاشه وحمله ضمن هجرته بلا حياء واستحياء, من صدق المجتمع الغربي ومنح الثقة له. ورغم التاقلم ووجود ضمانات في العمل والحقوق العامة , الا ان المهاجر مازال قلقا يحمل بذاكرته المعطوبة ,من وجود سلطة قد تحرمه من حقوقة. لتراكم ما كان في انظمة الحكم من عدم وجود ضمانات فيها. ويبقى المهاجر مازوما قلقا مرتبكا يعيش ازمات الهوية المتناقضة في داخله ومعاناته في التخلص منها اينما كان . والذي يمكن ان نصف ما اكتسب من اختلاط الجغرافيا بما يملك من سلوك لايبتعد كثيرا عن اخلاق العاهة النفسية التي لازالت لم تُشفى.بما قد يكون ضمن الامراض النفسية المزمنة للذين شاركوا في الحروب او كان ضمن اسراها ومعاناة الحصار والحرمان . وهذا مجتمعيا يخلق سلوكا يعاني من ماسي وتراكمات الماضي ورفض تبيئة العيش في بيئة الغرب والتاقلم معها.

المصادر

1 الروائي حمزة الحسن والذي وافق مشكورا

منشورات المؤلف باسم د. اسامة حيدر والكتب الصادرة له في موقعه على الويبسايت:ومحاضرات صوتية مسجلة حول المواضيع اضافة الى كثير من المقالات والدراسات حول الموضوع.والتي لم يؤشر لها مصادر فهي للمؤلف في منشوراته على الصحف الالكترونية وفي كتب صدرات له: كما موضحة في موقعه ادناه:

www.dr-alazawi.com

مقالات ودراسات على صفحة المثقف منشورة باسمي المستعار: د. اسامة حيدر
http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/54985-2011-09-24-05-13-01

https://www.akhbaar.org/

www.sahat-altahreer.com

للمزيد من طلب المعلومات يمكن الاتصال عن طريق الايميل ادناه:

dr.hayder@gmail.com

للمؤلف اصدارات للكتب الموضحة ادناه:

1. هندسة التفاوض عام 2014م دار الثقافة للنشر والتوزيع
2. صناعة القادة عام 2014 اصدر دار الثقافة للنشر والتوزيع
3. موسوعة المشاريع والاستثمار (بالانكليزية) دار النشر في لاتيفيا 2014
4. مقالاتي في كتاب و منشورات خيره ماقل ودل 2014م – 2020م
5. مفاتيح المعرفة في الاستثمار عام 2015م دار النشر والثقافة